بسم الله الرحمن الرحيم

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان: صدى المرتضى -عليه السلام-.
الناشر: العتبة العبَّاسية المقدسة – قسم الشُّؤون الفكرية والثَّقافية .
الإعداد والتَّحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع- وحدة الإصدارات.
التَّصميم: حسين عقيل – حسين شمران.
الطَّبعة: الأولى .
عدد النسخ: ٢٠٠٠.
العراق – كربلاء المقدسة .
شهر رجب الأصب- ١٤٣٥هـ.
حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدسة.

السنة ٨
صدى
مرتضى

المحتويات

٩ علي عليه السلام لغز يعسر حلُّه

١٣ علي عليه السلام مع الحق

١٩ طريقنا الى الزُّهد.. الإمام علي عليه السلام أنموذجاً

٢٧ كيف نتعامل مع الناس

٣٥ المبادرة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام

٤٧ علي عليه السلام خير البشر

٦١ خصائص الإمام علي عليه السلام

٧٧ حق الرّعية والرّاعي

٩٣ رجال حول أمير المؤمنين عليه السلام: حجر بن عدي الكندي

١٠٩ سمعاً أمير المؤمنين

قيم النار والجنة

الافتتاحية

حياة العظماء معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والإيمان والأمل. فهم القمم التي نتطلّع إليها بشوق ولهفة، والمصابيح التي تبدّد دياجير الظّلم والاضطهاد. وهم الذين يجدّدون ثقتنا بأنفسنا وبالحياة وأهدافها البعيدة السّعيدة. ولولاهم لتولّانا القنوط واليأس.

وشخصيّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-عليه السلام- ليست شخصيّة عادية، يسهل ويمكن الوصول إلى قمّتها، بل هي شخصيّة فوق الشّموخ، وقاب قوسين أو أدنى من الكمال المطلق، علَت في سماء العظمة وعلياء المجد.

وكيف لا يكون أمير المؤمنين كذلك وقد اختار الله له أن بدأ حياته في بيت الله- سبحانه- وتربّى في حجر الرّسالة ونشأ تحت ظلّ النّبوة، واتّبع الرسول الأعظم-صلى الله عليه وآله- "اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً"، فأصبح باب مدينة علمه، وسيّد الأوصياء بعده، وإمام الاتقياء، وحبل الله المتين، وصراطه المستقيم، فهو بحق وصي الرّسالة وإمام الخلق بعد سيّد الخلق محمد-صلى الله عليه وآله-.

إنّ سيرة أمير المؤمنين-عليه السلام- تحمل في طيّاتها نوراً قيّم الفكر، وحقيقة الحياة فهي سيرة معصومة تكشف عن سلوك القدوة الحسنة بكلّ تجلّياتها، وتربط المرء بالمفاهيم الإسلامية في أصالتها، وتفتح له آفاقاً جديدة في مجالات العلم والعمل والفكر والتّربية، ولذلك أصبح إحياؤها تعظيماً لشعائر الله-تعالى- ونشراً للقيم الفاضلة التي تسعد الإنسان في الدّنيا والآخرة.

عليّ عليه السلام لغزٌ يعسر حلُّه

السيد حسين الحيدري/ خطيب حسيني

تشتد حاجتنا في كل زمن إلى الأسوة والمثل الأعلى أكثر فأكثر، وما أكثر النّماذج الفاضلة التي سايرت الرّسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله- وتأدّبت بآدابه، وتحلّت بأخلاقه، وتمسّكت بقيمه ومبادئه الإسلامية . ولكن الباحثين وجدوا في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-عليه السلام- أسوة ينير لهم ولأبنائهم الطّريق.

ولا عجب أن يجد الأطفال في طفولته-عليه السلام- قدوتهم... ويجد الشّباب في شبابه أسوتهم... ويجد الشّيوخ في حياته نبراسهم...، فقد تربّى في حجر الرسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- واتّبعه اتّباع الفصيل إثر أمّه، وتلقّى عنه العلم والحكمة وفصل الخطاب.

فنحن لا ندرس عليّاً فقط لأجل أنّ ذلك يورث أجراً وثواباً، بل ننظر إليه كرمز وشعار لكل معاني الخير في الحياة، من هنا فإنّ شخصية أمير المؤمنين -عليه السلام- هي أعظم شخصيّة عرفها التاريخ بعد الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله-.

إنّ الحديث يكون سهلاً عندما يريد الإنسان أن يتناول في حديثه عظيماً من العظماء، ذلك أنّ العظيم هو ذلك الشّخص الذي يتميّز عن سائر النّاس، ويتفوّق عليهم بتحلّيه بإحدى صفات الكمال النّفسيّة منها، أو الفكرية، أو الإنسانيّة، أو العضليّة، كأن يكون شجاعاً، أو فيلسوفاً متفوّقاً، أو مصوّراً بارعاً، أو شاعراً محلّقاً، أو مخترعاً مبدعاً، أو قائداً ناجحاً، أو غيره.

لكن عندما يكون الشّخص الذي نتحدّث عنه هو الإمام علي بن أبي طالب-عليه السلام- الذي جمع كل الصّفات ومختلف الكمالات البشرية، فإنّ ذلك مما يجعل الباحث أمامه حائراً.

لأنّه سيقف أمام هذا الزّخم الهائل من صفات العظمة والبطولة، والتي تكوّن بمجموعها عَالَماً قد جُمِعَ في فرد، وما هذا بعجيب، وقد قيل قديماً:

ليس على الله بمستنكر * * * أن يجمع العالم في واحد

حقاً إنّ الدّهر ليطأطئ هامه إعجاباً وإكباراً أمام هذه العظمة ذات النّواحي المختلفة، وقد أعجب كل الدّارسين لحياته والمتحدّثين عن شخصه، فقد تسابق الى التّحدّث عنه أرباب الأقلام وأصحاب الدّراسات منذ عهد الرّسالة وحتى اليوم، ولا تزال شخصيّته اللّغز الذي يعسر حلُّه حتى حارت به العقول.

علي عليه السلام مع الحق

رضي المنصور/ باحث إسلامي

كلمة مكونة من حرفين (ح، ق) ولكنّها ذات دلالة كبيرة، فحين تصطبغ شخصيّة المرء بصبغة الحق فإنّ ذلك يعني أنّ مواقفه، وأفكاره، وسلوكياته، وكل حركة يتحرّكها تكون مبنية على أساسٍ ثابتٍ لا يقبل التغيير.

وهذا ما نجده في حياة الإمام علي -عليه السلام-، حيث أعطاه الرسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- هذا العنوان فقال: "**علي مع الحق، والحق مع علي...**"[1] ، وبهذا كانت حياة الإمام -عليه السلام- حياة الحق والذّوبان في تجلّياته.

وقليل هم الذين يتمسّكون بالحق ويعملون وفقه، ولهذا يقول ربنا: (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)[2]، وكما يقول الإمام علي -عليه السلام-: " الحقّ ثقيل مريء، وإنّ الباطل خفيف وبيء"، ولهذا نجد عظماء التاريخ قلة؛ ذلك لأنّ العظمة بمعناها الحقيقي والتي رسمت أصولها على المبادئ الحقّة إنّما تنطلق من منطلق الحق، وهكذا أصبح الإمام- عليه السلام- من عظماء التاريخ، والذين لم تعرف لهم البشرية مثيلاً، والسّبب في ذلك أنّه (رجل الحق).

ولكن ماذا يعني اتّباع الحق؟ وكيف نعرف أنّنا على حق أم لا؟

إنَّ كثيراً من النّاس قد يتشدق أنّه يسير وفق الحق في هذه الحياة، ولكن قليل هم الذين يطبّقون الحق في سائر شؤون حياتهم، ولكي نعرف ماذا يعني إتباع الحق والعمل به، دعونا نتأمّل حياة الإمام -عليه السلام- وما هي الخطوط العريضة التي رسمها في هذا المجال:

أولاً / الثّبات على المبدأ، وعدم التّنازل عنه:

سأله عبد الرحمن بن عوف في مؤتمر الشّورى الذي عُقد بأمر عمر بن الخطاب أن يتنازل عن هذه المبادئ والقيم، وأن يحكم بما حكم به أبو بكر وعمر، ولكنّه أجاب: "بل على كتاب الله، وسنّة النبي واجتهاد رأي".

ألم يكن باستطاعته أن يقدّم، بل أن يتفوه بكلمة(نعم) لكي يتسلم زمام الخلافة؟! ولماذا كل هذا (الرّفض)؟.

كلُّ هذا؛ لأنّ الحق لا يقبل أية تنازلات مهما صغر حجمها، والحق لا يقبل المهادنات الباطلة، بل الحق هو الثّابت، وهذا ما فعله الإمام-عليه السلام- فلم يقدّم مصالحه الشّخصية على مبادئه وقيمه.

ثانياً/ رفض الأهواء، وعدم الانصياع للشّهوات الدّنيوية:

ألم يكن باستطاعة الإمام أن يصبح من أثرياء عصره؟، ألم تكن الأموال بين يديه؟، وهل كان بحاجة إلى أن يبيع سيفه أو درعه ليُطعم أهله؟

لو لم يكن الإمام (رجل الحق) لكان بميسوره ذلك، ولكنه يقول: "ولو شئت لاهتديت الطّريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخيّر الأطعمة ..."[٣]، وهو الذي رفض الدّنيا وزبرجها، وخاطبها قائلاً: "إليك عنّي يا دنيا فحبلك على غاربك..."[٤]

ثالثاً/ عدم اتباع أهل الباطل

ألم يكن باستطاعة الإمام -عليه السلام- أن يبعد عن دولته الدّخول في تيّارات الحروب الثلاث، ودعنا نتساءل: لماذا لم يعطِ طلحة والزّبير ما أراداه ؟ ولماذا لم يبقَ معاوية على ولاية الشام ؟ وبهذا يبقى الهدوء والاستقرار ملازماً لدولته -عليه السلام-.

في نظر الإمام -عليه السلام- أنّ القبول بالباطل يعني أن يكون هو على باطل، ألم يقل الإمام -عليه السلام-: "الرّاضي بفعل قوم كالدّاخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان إثم العمل به، وإثم الرّضى به".

ولأنّه -عليه السلام- كان التّطبيق العملي للحق صار يوصي أبناءه بالتّمسك به، فقد أوصى الحسن والحسين -عليهما السلام- فقال: " وقولا بالحق، واعملا للأجر..."

وعلى ضوء هذه الوصية ثار الإمام الحسين-عليه السلام- ولم يقبل بخلافة يزيد، وفي كلمة أخرى يوصي فيها ابنه الحسين-عليه السلام-: "وخض الغمرات للحق حيث كان...".

ونظراً لقلّة أتباع الحق، وكثرة أهل الباطل، أخذ الإمام يقول لأصحابه: "لا تستوحشوا طريق الحق لقلة أهله"، باعتبار أنّ المقياس الحقيقي للحق ليس بكثرة الأتباع، وإنّما بالنّتائج. وفي كلمة له يودّع فيها الصحابي الجليل (أبا ذر الغفاري) بعد صدور قرار النّفي من قبل عثمان بن عفان: "لا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل" (٥).

ولأنّه يريد من أتباعه ضرورة تطبيق الحق في سائر شؤون حياتهم، فقد وبّخ وَالِيه على البصرة عثمان بن حنيف، لا لسبب إلا لأنّه قَبِلَ دعوة أهل البصرة على وليمة!! وكتب خطبة مفصّلة في ذلك. وهذا العمل إنّما هو من منطلق الخوف على هذا الوالي من الانزلاق في مهاوي الباطل.

وفي حادثة أخرى عزل وَالِيه، وذلك بسبب شكاية امرأة (سودة بنت عمارة الهمدانية) حينما جاءته وهو يصلّي وإذا به ينفتل من صلاته ليرى ما خطبها، وإذا بها تشتكي وَالِيه؛ لأنّه تعدّى على بعض حقوقهم!! فما كان منه -عليه السلام- إلا أن كتب خطاب عزل دون فتح أيّ ملفّ للتحقيق!! وهنا قالت سودة:

صلّى الإلـــه على جسم تضمنه قبر فأصبح العدل فيه مدفوناً
قد حالف الحق لا يرضى به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقروناً

وقد حذّر الإمام -عليه السلام- من عدم نصرة الحق واتّباع الباطل، لما في ذلك من آثار وخيمة، بل لما في ذلك من تخلّف الأمّة، وسيطرة أهل الباطل على مقدّراتها، وفي هذا الصّدد يقول الإمام -عليه السلام -: " أيّها النّاس لو لم تتخاذلوا عن نصرة الحق، وتهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس بمثلكم". وهذا حدث لمجتمع الكوفة حين تَخَاذل عن نصرة الحق بعدم اتباعه لأوامر قيادته المتمثلة في الإمام-عليه السلام-

ولهذا حذّر- عليه السلام – الذين يتركون الجهاد بقوله: " من تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذّل..." [٦] ؛ ولأنّه عرف ما تكُنّ صدورهم قال: " وإنّي والله لأظنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم إمامكم في الحق...".

هكذا حياة الإمام –عليه السلام – إنّها بكلمة حق، في حق . وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن متأطّراً بإطار الحق قولاً، وفعلاً، دعوة، ونصرة، بحثاً، واتباعاً.

الهوامش:

١-بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ١٠/ ص٤٤٥.

٢-سورة المؤمنون/ الآية: ٧٠.

٣- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج٣٣/ ص٤٧٤.

٤-المصدر نفسه/ ج٣٣/ ص٤٧٥.

٥-المصدر نفسه/ ج٢٢/ ص٤١٢.

٦-المصدر نفسه/ ج٩٧/ ص٧.

طريقنا الى الزُّهد.. الإمام علي عليه السلام أنموذجاً

رضا ناصر/ كاتب

(أنا) لن أدعوك بمجرد قراءتك هذا العنوان لأن تتجرّد من ثروتك، أو أن تعتكف في إحدى زوايا المسجد، أو أن تتصرف في أموالك؛ لأنّك تريد أن تعتكف زاهداً في الدُّنيا، وإنَّما أكتب هذه السّطور لأبيّن لك كيف كان يعيش الإمام -عليه السلام- وهو القائد، والخليفة على المسلمين، وإنَّما أكتب هذه السّطور لننظر في حياتنا اليومية، وكيف نحن أسارى للمادة والجاه..

ماذا كان يقصد الإمام علي-عليه السلام- من الزّهد، وكيف هي حياته؟ وماهي النّقاط الذّهبية التي اتبعها حتى يكون أزهد الزّاهدين؟ هذا ما سأتناوله في مقالتي هذه..

أولاً/ مفهوم الزّهد

للزّهد مفهومه عند الإمام علي -عليه السلام- حيث يقول: (الزّهد كله في كلمتين من القرآن، قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ فمن لم ييأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فهو الزّاهد) [1].

لا يعني الزّهد أن لا تمتلك المال والثروة، بل الزّهد أن لا تصبح أسيراً للمال، ويسخّرك كيف يشاء، بل الزّهد أن تمتلك المال، وتتصرف به في وجوه الخير، يقول الإمام علي-عليه السلام-: "ليس الزهد أن لا تملك الشيء ولكن الزّهد أن لا يملكك الشيء"[2]، هذا هو مفهوم الزّهد، أن تُسخّر الثّروة لا أن تُسخِّرك الثروة.

ثانياً/نماذج من حياة الإمام علي-عليه السلام-

في حياة الإمام علي-عليه السلام- كثير من النماذج التي تصور لنا كيف هو زهده في الحياة الدّنيا، وإليك بعض الصور من حياته-عليه السلام-:

١- مائدة الإمام القائد -عليه السلام-

تُرى هل كانت مائدته-عليه السلام- مليئة بالمأكولات الشّهيّة، والمقبّلات،

وأصناف المشروبات؟ أم كيف كانت مائدته؟! كانت مائدته -عليه السلام- كما في الوصف التّالي: في ليلة التّاسع عشر من شهر رمضان قدمت له ابنته السّيّدة أم كلثوم إفطاره، وكان مكوّناً من قرصين من الشّعير، وقصعة لبن حامض، فأمرها أن ترفع اللّبن وأفطر بالخبز والملح، ولم يشرب اللّبن!!

لم يكن يأكل اللحم إلّا قليلاً، وكان إدامه الخل أو الملح، هذا هو طعام أمير المؤمنين- عليه السلام- .

٢- ثياب الإمام القائد-عليه السلام-

لم يصرف الإمام -عليه السلام- الأموال الطائلة على الملابس الفاخرة والحرير، هل أنّ هذه الملابس لم تعجبه؟!! إذن ماذا كان يعجبه وهو الحاكم على خمسين دولة؟! يجيب (ضرار) على هذا السّؤال في وصفه لقائده وسيّده: " يعجبه من اللبس ما خشن"!! أهذه هي ثيابه؟! وليس هذا فحسب بل ذات مرّة اشْترى قمِيصاً، فقطع ما فضَل عن أصابعه، ثمّ قال للرجل: حُصْه!!، بل قال ذات مرة: " رقّعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها"[٣].

٣- ثورة الإمام القائد-عليه السلام-

يتباهى بعض الناس بالأرصدة وكثرة الأموال، ودفاتر الشّيكات، ولكن هل تعلم ما هو رصيد الإمام علي -عليه السلام- ؟ وقف ذات يوم يريد بيع سيفه قائلاً: من يشتري سيفي هذا ولو كان عندي عشاء ما بعته! ومرة أخرى قال: من يشتري سيفي الفلاني؟ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته!.

لقد حكم الإمام علي -عليه السلام- في الخلافة الإسلامية خمس سنوات ولكنّه خلال هذه المدّة لم يخلف بيضاء ولا حمراء (لا ذهب ولا فضة) إذن كم بلغت ثروته؟!.

ثالثاً/ نقاط ذهبية

ماهي النّقاط الذّهبية التي اتبعها الإمام-عليه السلام- حتى صار أزهد الزّاهدين؟

١-إليك عني يا دنيا:

إنّ من يعرف حقيقة الدّنيا، وأنّها دار فناء، فانّه حتماً سيزهد فيها، ولن يجري وراء ملذّاتها لعلمه أنّ هناك عالماً آخر بانتظاره، وجنّة عرضها السّماوات والأرض، ومهما خسر في هذه الدّنيا إلا أنّ خسارتها- إن كانت خسارة- ستعوض في الآخرة، والإمام عرف حقيقة الدّنيا، ولهذا يقول الإمام -عليه السلام -:" إليكِ عنّي يا دنيا، فحبلكِ على غاربكِ، قد انسللتُ من مخالبكِ، وأفلَتُّ من حبائلكِ، واجتنبتُ الذهاب في مداحضِك"[٤]، وفي كلمة أخرى يوضح فيها زوال الماديات وبقاء العمل الصالح في الآخرة: "وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لاَ يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الْاٰخِرَةِ لاَ يَفْنَى"[٥] ، والعديد من الكلمات التي يوضّح فيها حقيقة الدّنيا.

٢-لايغلبني هواي:

كانت الخيرات تحت تصرفه-عليه السلام- وكان باستطاعته أن يكون أثرى رجل في التأريخ، ولكن لماذا لم يكن كذلك؟ يجيب الإمام قائلاً: "ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخيّر الأطعمة..."[٦]. وهكذا لم يدع الهوى يسيطر عليه لأن يأخذ درهماً واحداً من بيت مال المسلمين!

٣-الخوف من الله-تعالى-:

إنّ من يخاف الله لا يمكن أن يخضع لإغراءات الدّنيا وأمانيها وشهواتها، بل إنّ نفسه تسمو في رحاب الله ويعشق لقاء الله-تبارك وتعالى-، وهو كفيل أن يخلق منه شخصيّة زاهدة في هذه الحياة.

لقد طلب عقيل أخو الإمام علي-عليه السلام- زيادة مالية، وأن يعطف على عياله،

ولكنّه أجابه قائلاً - بعدما قرّب منه حديدة محمّاة-: " ثكلتك الثّواكل يا عقيل !! أتئنّ من الأذى، ولا أئنّ من لظى" ؟![٧].

نعم هو الخوف من الله-تعالى- الذي يدعو الإنسان لأن يتصرّف هكذا تصرّف.

٤-مشاركة الفقراء في المعيشة:

لا فرق عند الإمام-عليه السلام- بين الأغنياء والفقراء، بل هو شديد العطف على الفقراء والمحتاجين، ولهذا يقول-عليه السلام-: " ألبسوهم ما تلبسون، وأطعموهم مما تأكلون"[٨].

إضافة لهذا فأنّ للإمام ضميراً وإحساساً بما يعانيه الآخرون من جوع وفقر، ولهذا يقول وهو يسكن الكوفة: " ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أَوَ أَبِيْتُ مِبْطاناً وحولي بطونٌ غَرْثى وأكبادٌ حرَّى"؟[٩].

هكذا هو الإمام -عليه السلام- وهذه هي طريقته في الحياة، وتعامله مع الثّروة والآخرين، لم يكن فقيراً معدماً حتى يتصرف هكذا تصرف، وإنَّما هي حقيقة الحياة الدّنيا، وحقيقة الآخرة فطلَّق الدّنيا ثلاثاً، واختار الآخرة عليها.

فهل يمكننا أن نفعل كما فعل الإمام- عليه السلام-؟ يجيبنا -عليه السلام-: " ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطِمريه، ومن طُعمه بقرصيه، أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ"[١٠].

إذن لنتّخذ من الإمام -عليه السلام- قدوة لنا في الزّهد في الدّنيا.

الهوامش:

١- بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج٧٥/ ص٧٠ .

٢- نهج البلاغة/ جمع الشريف الرضي/ تحقيق فارس الحسون/ ط١/ ١٤١٩هـ/ مطبعة ستارة/ قم المقدسة/ ص٧٢٦.

٣-محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج٤٠/ ص٣٤٦ .

٤- المصدر نفسه/ ج٣٣/ ص٤٧٥ .

٥- الشريف الرضي/ المصدر السابق/ ص٣٤٤ .

٦- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج٣٣/ ص٤٧٤ .

٧- المصدر نفسه/ ج٤١/ ص١١٥ .

٨- المصدر نفسه/ ج٤٠/ ص٣٢٤ .

١٠- المصدر نفسه/ ج٣٣/ ص٤٧٤ .

١١- المصدر نفسه/ ج٣٣/ ص٤٧٤ .

السلام

كيف نتعامل مع النَّاس

أحمد عبود الگريطي/ صحفي

كثيراً ما نرى حكاماً وكُتّاباً ومفكرين ومثقفين يُسمّون أنفسهم بالإسلاميين ينزلقون ويسقطون في مهاوي الانحراف ورفض الواقع الإسلامي، مبتعدين بذلك كل الابتعاد عن المنهج الاسلامي الصحيح، والمنهج القرآني الأصيل في كيفية التعامل مع اللآخرين، طبعاً هذا الانحراف الذي يصيب عقائد هؤلاء الذين يطلق عليهم بالنّخبة!!!، يرجع بالتأكيد الى المغذّيات الفكرية الزائفة والبعيدة كل البعد عن خطّ الرّسالة الإسلامية الصّحيحة، وهذا سبب كافٍ يؤدّي الى هذه النتيجة المروّعة التي يمر بها المجتمع الإسلامي من تخلّف وانحطاط على كافّة الأصعدة والمجالات، فترى شتّى أنواع المذاهب الفكريّة المادّيّة والإلحاديّة تعصف بمجتمعنا الإسلامي وتلعب بعقولهم فكأنّما أصبحت السّاحة الإسلامية هي السّوق الرائجة الأفضل لكل أنواع الأفكار والنّظريات المنحرفة.

إذن من سيُصلح هذا الواقع؟ ومن سينتشل هذه الأمة من هوانها في ظلّ هذا الانحراف الذي نعانيه؟

ببساطة أقول أنّه شخصٌ مثّل مصداق الإسلام والتّطبيق العملي لكل مفاهيمه وما جاء به هذا الإسلام من نظريات فذّة وعظيمة إنّه أخو رسول الله- صلى الله عليه وآله- وخليفته من بعده علي-عليه السلام- فسيرة هذا الرجل العظيم بعد الرسول هي الكفيلة بأن تجعلنا نتذوّق حلاوة الإسلام وعظمة معانيه وجمال تشريعاته وشموخ أخلاقياته التي طبّقها أبو تراب-عليه السلام- وأعطاها كل أبعاد الحياة والدّيمومة، فهو قرآن ناطق متجسّد في كل سلوكيّاته في عدله وحلمه وشجاعته وصبره وإنسانيّته وبساطته وحكمته ....

إنّ فهم علي-عليه السلام- للإسلام هو الكفيل برجوع الأمّة الى طريق الصّواب وعتقاً من الرّذيلة، وانطلاقها نحو الكمال الإنساني الذي نادت به رسالة النّبي الأكرم محمد-صلى الله عليه وآله-، فعلي بن أبي طالب -عليه السلام- هو من علّمنا التّعامل

مع النّاس، ووضع لنا القواعد الرّصينة لذلك.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-عليه السلام-: "يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِم كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ. وَاعْلَمْ، أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ. فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ"[1].

أساس التّعامل مع النّاس:.

"اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك".

بهذه المقولة الموجزة يضع الإمام-عليه السلام- الطّريقة الصّحيحة في التّعامل مع النّاس، وهي طريقة العدل والإنصاف، بأن تجعل نفسك معياراً بينك وبين الآخرين.

لقد قرن الله -عزّ وجلّ- الأمر بعبادته وتوحيده بالأمر بالإحسان إلى الناس سواء ما ارتبط بالوالدين أو بالآخرين قال -تعالى-: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)[2].

تطبيقات القاعدة

بعد أن ذكر الإمام -عليه السلام- هذه القاعدة العامّة في العِشرة والمصاحبة، ذكر بعض التّطبيقات لهذه القاعدة، والتي من خلال سلوكها يتمكّن الإنسان من اتباع تعاليم الإسلام:

أ- أحبب لغيرك ما تحب لنفسك.

طبعاً كل إنسان يحتاج الى طريقة خاصّة في التّعامل معه، وعلى أساس المعاملة بالمثل فكما تحب أن يعاملك النّاس يجب أن تتعامل معهم بالمثل. وهذا لا يختصّ بالأخ أو

الصّديق بل يشمل النّاس كافة. فكما تطلب من الشّخص الآخر- أخ، صديق، ذي رحم- مالاً أو خدمةً، فعليك أن تبادله ذلك، بأن تبذل له ما يطلبه منك بالمقابل.

وأنت كما تحب من عدوك ومن قامت الخصومة بينك وبينه أن يعاملك بالعدل والإنصاف، وأن لا يتجنّى عليك، ولا يتّهمك بهتاناً مهما كانت عداوتك معه، فعليك أن تعامله بالمثل، ولا تتعدّى عن ذلك فتتّهمه بما لم يفعله، أو تتقول عليه بما لم يقله.

وأما أغلبية النّاس فإنّ جلَّ ما تُحب منهم هو أن يقابلوك بالوجه الرّحب، فعليك أن تقابلهم بالمثل وتعاملهم بكلّ احترام.

وهذا ما ورد في الرّواية عن الإمام علي -عليه السلام-: "ابذل لأخيك دمك ومالك، ولعدوّك عدلك وإنصافك، وللعامّة بِشرك وإحسانَك"(٣).

ب- اكره له ما تكره لها.

وكذا الحال بالنّسبة للكره فكما أنّك لا تريد أن يتحدّث عنك أحدٌ بسوء لمن وقع معك في خصومه، فينبغي أن لا تتحدّث عنه بسوء، ولا أن تجرحه، ولا أن تشهر به، وإن كنت لا ترضى بأن يأخذ أحدٌ حقاً من حقوقك فعليك أن تجتنب أخذ حقوق الآخرين.

فقاعدة التّعامل مع النّاس هي التّبادل بالإحسان، وعدم الإساءة، ولذلك ورد عن الإمام الهادي -عليه السلام-: "لا تَطْلُبِ الصَّفا مِمَّنْ كَدِرَتَ عَلَيْهِ، وَلاَ النُّصْحَ مِمَّنْ صَرَفْتَ سُوءَ ظَنِّكَ إلَيْهِ، فَإنَّما قَلْبُ غَيْرِكَ كَقَلْبِكَ لَهُ"(٤).

فغيرك ينظر إليك، ويعاملك كما تعامله، فإن كنت تكره منه أمراً فلا تعامله به.

ج- لا تظلم كما لا تحب أن تُظلم.

إنّ من أبشع الظّلم ظلم الإنسان لغيره، وإذا أراد شخص أن يجرّب بشاعة ظلمه على الآخرين فليطبّقه على نفسه فإنّه سيعرف كم يحمل ظلم الآخرين من مرارة وألم، وقد ورد عن الرسول الكريم-صلى الله عليه وآله- التّحذير من هذا الفعل الشّنيع وما يترتّب عليه فقد قال -صلى الله عليه وآله- : "إنّه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرّته حسناته،

فيجئ الرّجل فيقول: يا ربّ ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيّئاته فجعلت مع سيئات الرّجل، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار"(٥).

د- أحسن كما تُحب أن يحسن إليك.

قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)(٦).

إذا تذكّر الإنسان أنّ وجوده وما بين يديه من النّعم هو من فضل الله -تعالى- وإحسانه إليه، عَلم أنّ عليه أن يُبادر إلى الإحسان إلى النّاس، وهذا ما تدلّ عليه الآية المباركة.

وعن الإمام علي -عليه السلام-: "أحقّ النّاس بالإحسان من أحسن الله إليه، وبسط بالقدرة يديه"(٧).

هـ- استقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك.

قبل أن تحاسب غيرك وما يصدر عنه، وتصدر حكماً نهائياً عليه، عليك أنت أوّلاً أن تضع نفسك في ميزان العدل وترى ما يصدر عنك، فتضع نفسك مكان هذا الشّخص والظروف التي يمرّ بها هذا الشّخص، وعندها سنرى هل ستقوم بذلك الفعل الذي صدر عن ذلك الشّخص أم لا؟ فالمشكلة أنّنا ننظر الى ما يقوم به الآخرون بعين أنفسنا لا بعين غيرنا.

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلـه ... عـار عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهت منه فأنت حكيم

و- ارضَ من النّاس بما ترضاه لهم من نفسك.

قد يرى الإنسان جفاءً في تعامل بعض النّاس معه، ولا يرضى منهم ذلك، فلْينظر إلى نفسه، هل يعاملهم هو أيضاً بجفاءٍ، أو أنّه يبادر إلى الإحسان إليهم.

ز- لا تقل ما لا تعلم وإن قَلّ ما تعلم.

من الآفات المهلكة للمرء أن يتحدّث بما لا يعلم، ويقول بما لا يعرف؛ لأنّ مثل هذا السّلوك سينسحب على الفرد الذي يقول بما لا يعرف، وعلى من يستمع إليه.

قال-تعالى-: (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)(٨).

بل ورد التّحذير في الرّوايات عن قول كل ما يعلم فكيف بقول ما لا يعلم؟

ففي الرواية: "لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإنّ الله فرض على جوارحك كلها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة"(٩).

وإنّما أوصى الإمام بهذه الوصيّة؛ لأنّ الإنسان إذا قال ما لا يعلم فإنّه سوف يوقع غيره فيما يكره ولا يحب، وذلك؛ لأنّ غيره قد يعتمد على قوله عندما يقدم على أمر من الأمور، فإذا أخبره بما لا يعلم أوقعه في الضّرر.

هذه بعض القواعد في كيفية التّعامل مع اللآخرين جاءت على لسان مولى المتقين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب-صلوات الله وسلامه عليه- كفيلة باسعاد النّاس في الحياة الدّنيا والآخرة.

الهوامش:

١- المجلسي محمد باقر/ بحار الأنوار/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ الطبعة الثانية/ ج٧٢/ ص٢٩ .

٢- سورة النساء/ الآية: ٣٦.

٣- المجلسي محمد باقر/ بالمصدر السابق/ ج ٧٨/ ص ٥٠.

٤- المصدر نفسه/ ج ٧٤ / ص ١٨٢.

٥- الريشهري محمد/ ميزان الحكمة/ دار الحديث/ الطبعة الأولى/ ج٢/ ص١٧٧١.

٦- سورة القصص/ الآية: ٧٧.

٧- الريشهري محمد/ المصدر السابق/ ج١/ ص ٦٤٠.

٨- سورة الإسراء/ الآية:٣٦.

٩- المصدر نفسه/ ج ٣/ ص ٢٤٠٤.

المبادرة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام

سليم عادل الحسناوي/ باحث إسلامي

أولا: تعريف المبادرة:

لغة: جاء في مادّة بدر في لسان العرب، بَدرْتُ إلى الشيء أَبْدرُ بُدُوراً: أَسْرَعْتُ، وكذلك بادَرْتُ إليه.

وتَبادَرَ القومُ: أَسرعوا.

وابْتَدَروا السلاحَ: تَبادَرُوا إلى أَخذه.

وبادَرَ الشيءَ مبادَرَةً وبِداراً وابْتَدَرَهُ وبَدَرَ غيرَه إليه يَبْدُرُه: عاجَلَهُ؛ وبَدَرَني الأَمرُ وبَدَرَ إليَّ: عَجِلَ إليَّ واستبق.

والبَدْرُ: القَمَرُ إذا امْتَلأَ، وإنّما سُمِّيَ بَدْراً لأَنّه يبادر بالغروب طلوعَ الشمس، وسميت ليلةَ البَدْرِ لتمام قمرها(١).

اصطلاحاً: الإسراع إلى فعل شيء.

أهمية المبادرة:

لقد حثّ الله -تعالى- المؤمنين والمؤمنات الى المبادرة في أعمال الخير، قال -سبحانه -: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢).

كما حثّ ربيب القرآن الكريم، والرّسول الأعظم محمد-صلى الله عليه وآله- الإمام علي -عليه السلام- على المبادرة والمسارعة في عمل الخير قبل أن تتغير النّفوس وينقطع الأمل قائلاً:

" طُوبى لِمَنْ بادَرَ صالِحَ العَمَلِ قَبْلَ أنْ تَنْقَطِعَ أسْبابُهُ"(٣).

وعَنْه-عليه السلام-: "بادِرُوا الأمَلَ، وَسابِقُوا هُجومَ الأجَلِ، فَإنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأمَلُ، فَيَرْهَقُهُمُ الأجَلُ..."(٤).

وعَنْه-عليه السلام-: "بادروا وَالأبْدانُ صَحيحَةٌ، وَالألْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالتَّوبَةُ مَسْمُوعَةٌ، وَالأعْمالُ مَقْبُولَةٌ"(٥).

لقد ورد مفهوم المبادرة في كلمات عديدة لمولى الموحّدين أمير المؤمنين-صلوات الله عليه-، وهذا إن كان يدل على شيء فإنّه يدلّ على أهمّيّة هذا المفهوم في تقدّم الفرد والمجتمع، ولأنقل لك مجموعة من هذه الرّوايات الشّريفة:

- " بادِرُوا العَمَلَ، وَأكْذِبُوا الأمَلَ، ولاحِظُوا الأجَلَ "[٦].
- " بادِرِ البِرَّ فَإنَّ أعْمالَ البِرِّ فُرْصَةٌ "[٧].
- " بادِرُوا صالِحَ الأعْمالِ وَالخَناقُ مُهْمَلٌ وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ "[٨].
- " بادِرُوا قَبْلَ الضَّنْكِ وَالمَضيق "[٩].
- " بادِرُوا قَبْلَ قُدُومِ الغائِبِ المُنْتَظَرِ "[١٠].
- " بادِرُوا أعْمالَكُمْ، وَسابِقُوا آجالَكُمْ، فَإنَّكُمْ مَدينُونَ بِما أسْلَفْتُمْ، وَمُجازَوْنَ بِما قَدَّمْتُمْ، وَمُطالَبُونَ بِما خَلَّفْتُمْ "[١١].
- " بادِرِ الفُرْصَةَ قَبْلَ أنْ تَكُونَ غُصَّةً "[١٢].
- " طُوبى لِمَنْ بادَرَ الأجَلَ، وَاغْتَنَمَ المَهَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ العَمَلِ "[١٣].

دلائل المبادرة:

المسابقة إلى الخيرات خلق لا يتّصف به إلا المؤمن الصّادق، والمسارعة إلى أعمال البرّ طبع لا يتخلق به إلا من وهبه الله - تعالى- رجاحة في العقل، وانشراحاً في الصدر، وسلامة في القلب.

والتّسابق في الخير له فوائد عظيمة، وثمار يانعة، فمن ثماره أنّه:

١- دليل على حسن الإيمان وصدق اليقين:

قال -تعالى-: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ)[١٤].

٢- سبب لاستجابة الدعاء:

فحب الخير والمسارعة إليه سبب لقبول الدعاء، قال -تعالى-: (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)[١٥].

٣- سبب للسعادة في الدّنيا والآخرة:

عن أمير المؤمنين-عليه السلام-: "بادِرِ (باكِرِ) الطَّاعَةَ تَسْعَدْ"[١٦].

عن أمير المؤمنين- عليه السلام-: بادِرُوا العَمَلَ(الأمَل)، وَخَافُوا بَغْتَةَ الأجَلِ، تُدْرِكُوا أفْضَلَ الأمَلِ"[١٧].

٤- التّخلّق بأخلاق المعصومين -عليهم السلام-

فقد وصف الله -جل وعلا- خيرة خلقه وهم أنبياؤه ورسله وأوصياؤه -صلوات الله عليهم-: (إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)[١٨].

إنّ المبادرة تساهم في نهضة الأمة، كما أنّها سبب كذلك للتنمية والتّطوير بالإضافة إلى كونها عاملاً مهمّاً في استغلال وقت الفراغ، فالكل يعمل والكل يبادر ونتيجة لذلك يسعد الإنسان في الدّنيا والآخرة.

دوافع المبادرة:

بعد أن وقفنا مع فوائد عديدة للمبادرة، يتبادر إلى ذهن الكثيرين: ما الذي يجعلنا نبادر؟ أو ما الذي يمنع النّاس من المبادرات؟ والإجابة على هذه الأسئلة هامّة جدًّا؛ لأنّها ترشدنا إلى الطّرق التي تدفعنا إلى المبادرة، ومعرفة العوائق التي تمنعنا من المبادرات.

أما بالنّسبة إلى ما يسبب المبادرة فهي عدة أمور من أهمّها: السّعي في رضا الإله- سبحانه- والفوز بالجنان، كما أنّ الشّخص الذي يمتلك أهدافاً نبيلة وحميدة سوف يبادر بمبادرات كثيرة في سبيل تحقيق هذه الأهداف، وبالتالي ستكون هذه الأهداف بمثابة

الدّافع له لزيادة المبادرات، وتعتبر البيئة الصّالحة كذلك من أهمّ العوامل المحفّزة على المبادرات، والبيئة الصّالحة يمكن أن تكون البيت أو المدرسة أو الحي أو الأصدقاء، كل هؤلاء يساهمون بلا شكّ في المبادرات، فعلى سبيل المثال، إذا أقامت المدرسة مسابقة لاختراع شيء معيّن ووضعت جائزة قيمّة، فإنّ ذلك بلا شكّ سيساهم في خلق جوٍّ من التّنافس بين الطّلاب، وسيبادر كل واحد منهم بتقديم شيء مفيد، كما أنّ التّشجيع من قبل الوالدين أو المدرس أو المربّي له تأثيره الكبير على الأشخاص لعمل المبادرات، والتّشجيع يحفّز الشّخص على القيام بمبادرات عديدة حتى ولو فشل في بعض منها، ودور الوالدين في هذا الأمر كبير جداً وخاصّة في التّعامل مع الأطفال، حيث ينبغي لهم تشجيع الطّفل على أيّة مبادرة مفيدة يقوم به والثّناء عليه حتى لو كان أمراً بسيطاً؛ لأنّه بهذا التّشجيع سوف يتعلّم الطفل بأن يبادر أكثر، وبالتالي يصبح من المتميّزين في كبره، بعكس الآباء والأمهات الذين لا يشجّعون أطفالهم على المبادرات، فيصبح الأطفال في أغلب الأحوال غير منتجين في كثير من الأحيان.

إنّ الذي يدرك قيمة المبادرة وأهمّيّتها، لا شكّ بأنّه سيبادر مرّات ومرّات، ويكفي المبادر بأن يعلم بأنّ مبادرته في النّهاية عبارة عن أجر يحصل عليه من الله -تعالى- بل وقد يستمر هذا الأجر حتى بعد ممات الإنسان إن تَرَكَت تلك المبادرة أثراً، وإذا فكّر الإنسان في هذا الأمر فلا شكّ بأنّه سيبادر كثيراً.

معوّقات المبادرة:

وبعد أن عرضنا الأمور التي تدفع إلى المبادرات، دعونا ننتقل إلى الأمور التي تُعيق المبادرات، ومن أهم المعوّقات: عدم وجود هدف، وقد يكون الخوف من الفشل سبباً من أسباب عدم المبادرة، وهذا أمر خطير؛ لأنّ الخائف لن يقدم على شيء أبداً بل بالعكس فإنّه لن يُسهم في نهضة المجتمع، وبالتالي على الآباء والأمّهات والمربّين تشجيع الطّلاب على المبادرات وترغيبهم، وبيان بأنّ الفشل أمر طبيعي بل ويجب أن

يتعلّم الإنسان من فشله ويعتبره أوّل خطوات النّجاح.

صور من مبادرات أمير المؤمنين-عليه السلام-

ولقد ضرب أمير المؤمنين-عليه السلام- أروع الأمثلة في المبادرة إلى الخير، والإسراع إلى فعله، وهذا درس كبير ومهم، وعلينا جميعاً أن نَعِيه ونتعلّمه من سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-عليه السلام- وأن لا ننتظر من الآخرين أن يقوموا بعمل الخير، بل علينا كلّما سنحت فرصة أو فكرة لعمل الخير المبادرة إلى تطبيقها، فهذا من شأنه تحقيق النَّجاح ورفعة الدّرجات في الدّارَيْن ...

فالإمام علي-عليه السلام- أوّل من صدّق وأوّل من آزر، وأوّل من صلّى، ولا أستحب أن أقول ما يقوله بعض علماء الحديث وبعض علماء التأريخ: عليّ أول من أسلم، عليّ هو المسلم الأوّل، بمعنى أنّه الذي لم يسبقهُ الى دين الله أحد ممن سبق، وعلي هو المبادر الأول، الذي لم يضارعه في تطبيق مناهج الله أحد ممن أطاع.

علي هو المبادر الأول بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وبكل ما ترمز إليه من فضل، وكل ما تشير إليه من غاية، فهو السّابق إلى كل مكرمة، والمستأثر بكل منقبة، والإسلام مجمع كل تلك الفضائل، وهو المبادر في الشّجاعة ورباطة الجأش، وهو المبادر في تعليم النّاس حسن التّربية، وغرس الأخلاق الحميدة بل هو المبادر الأوّل في تحمّل المسؤولية، فقد كان في المقدّمة دائماً، يكفي أن نشير إلى فدائه رسول الله -صلى الله عليه وآله- بنفسه ليلة الهجرة، وقتله نصف قتلى المشركين ببدر، وكانوا سبعين، قُتل منهم بسيفه خمسة وثلاثين فارساً، وشارك في النّصف الثاني، وقتله حملة الألوية جميعاً في أحد من بني عبد الدّار، وحضوره كل مشاهد رسول الله-صلى الله عليه وآله- عدا غزوة تبوك التي كان فيها بمنزلة هارون من موسى، وقد استخلفه النّبي على المدينة، وأهمّ من هذا كلّه تَمَثّل الإسلام متكاملاً في شخصيّته بمبادئه كافّة، فهو النّموذج الأرقى الذي حمل الإسلام فكراً ورأياً وعقيدة ونظاماً حتى ذهب شهيد عظمته، وماذا عسى أن أقول في علي -عليه

السلام- وقد قال الله -تعالى-: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوضُونَةٍ * مُّتَكِئِينَ عَلَيهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيهِم وِلدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأسٍ مِّن مَّعِينٍ * لاَ يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يَنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحمِ طَيرٍ مِّمَّا يَشتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمثَالِ اللُّؤلُؤِ المَكنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ * لاَ يَسمَعُونَ فِيهَا لَغوًا وَلاَ تَأثِيمًا * إِلاَ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا)(١٩).

بعض مبادرات الإمام علي-عليه السلام- في كلماته:

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال "... فلما رأى أمير المؤمنين -عليه السلام- ما هَمّ القوم به من البيعة لعثمان، قام فيهم ليتّخذ عليهم الحجّة، فقال -عليه السلام- لهم: اسمعوا منّي فإن يك ما أقول حقاً فاقبلوا، وإن يك باطلاً فأنكروا. ثم قال لهم: أنشدكم بالله الذي يعلم صدقكم إن صدقتم، ويعلم كذبكم إن كذبتم، هل فيكم أحد صلّى إلى القبلتين كلتيهما، غيري؟ !. قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم من بايع البيعتين -بيعة الفتح وبيعة الرّضوان-، غيري ؟! قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أدّى الزكاة وهو راكع، غيري؟!. قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد مسح رسول الله -صلى الله عليه وآله-، وأعطاه الرّاية يوم خيبر فلم يجد حراً ولا برداً، غيري؟!. قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نصّبه رسول الله -صلى الله عليه وآله- يوم غدير خم بأمر الله، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، غيري؟!. قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخو رسول الله -صلى الله عليه وآله- في الحضر ورفيقة في السفر، غيري؟!. قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبد ود يوم الخندق وقتله، غيري؟! قالوا: لا..

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قضى دين رسول الله -صلى الله عليه وآله-، غيري؟!. قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد شهد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وآله-، غيري ؟!. قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد غسّل رسول الله -صلى الله عليه وآله- وكفّنه، غيري ؟!. قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله -صلى الله عليه وآله- ورايته وخاتمه، غيري؟!. قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أكل مع رسول الله -صلى الله عليه وآله- من الطائر الذي أُهدي إليه، غيري؟!. قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد استقى مائة دلو بمائة تمرة، وجاء بالتّمر فأطعمه رسول الله -صلى الله عليه وآله- وهو جائع، غيري؟!. قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وحّد الله قبلي؟!. قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان أوّل داخل على رسول الله -صلى الله عليه وآله- وآخر خارج من عنده، غيري؟!. قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله -صلى الله عليه وآله-: أنت أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة، غيري؟!. قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله -صلى الله عليه وآله- بيده ويد امرأته وابنيه ... حين أراد أن يباهل نصارى أهل نجران، غيري؟!. قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله- الطعام وهو في الغار ويخبره الأخبار، غيري؟!. قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله -صلى الله عليه وآله-: أنت أقدمهم سلماً، وأفضلهم علماً، وأكثرهم حلماً، غيري؟!. قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل مرحب اليهودي ... غيري؟!. قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) فكنت أنا الذي قدم، غيري؟!. قالوا:

لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد اضطجع على فراش رسول الله -صلى الله عليه وآله- حين أراد أن يسير رسول الله -صلى الله عليه وآله- إلى المدينة ووقاه بنفسه من المشركين حين أرادوا قتله، غيري؟!. قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد صلى قبل الناس بسبع سنين وأشهر، غيري؟!. قالوا: لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سرحه رسول الله -صلى الله عليه وآله- بسورة براءة إلى المشركين من أهل مكة بأمر الله، غيري؟!. قالوا: لا... قال لهم أمير المؤمنين -صلوات الله عليه وآله ورضوانه-: أما إذا أقررتم على أنفسكم واستبان لكم ذلك من قول نبيكم -صلى الله عليه وآله- فعليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأنهاكم عن سخطه ولا تعصوا أمره، وردّوا الحقّ إلى أهله، واتبعوا سنّة نبيكم، فإنّكم إذا خالفتم خالفتم الله، فادفعوها إلى من هو أهلها وهي له. قال: فتغامزوا بينهم وتشاوروا، وقالوا: قد عرفنا فضله وعلمنا أنّه أحقّ النّاس بها، ولكنه رجل لا يفضّل أحداً على أحد، فإن وليتموها إياه جعلكم وجميع النّاس فيها شرعاً سواء، ولكن ولّوها عثمان فإنّه يهوى الذي تهوون، فدفعوها إليه(٢٠).

عاش عليٌّ -عليه السلام- تأريخاً إنسانياً مليئاً بالأسرار الإلهية، واستشهد عملاقاً أزليّاً لم تكتشف الحضارة الإنسانيّة مرافئ وشواطئ عالميّته، فضلاً عن الأعماق البعيدة، وقد اتسع للبشرية جمعاء، ولم تسعه البشرية جمعاء، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

الهوامش:

١- لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظورالافريقي المصري/ دار صادر-بيروت/ ط١/ د.ت/ ج٤/ ص٤٨، باب بدر.

٢- سورة البقرة/ الآية: ١٤٨ .

٣- هداية العلم في تنظيم غرر الحكم/ حسين شيخ الاسلامي/ قم المقدسة/ ١٤٠٥هـ/ د.مطبعة/ ط١/ ص٧٥.

٤- المصدر نفسه/ ص٧٥.

٥- حسين شيخ الاسلامي/ المصدر السابق/ ص٧٥.

٦- المصدر نفسه/ ص ٧٤ .

٧- المصدر نفسه/ ص ٧٤ .

٨- المصدر نفسه/ ص٧٤ .

٩- المصدر نفسه/ ص ٧٤ .

١٠- المصدر نفسه/ ٧٤ .

١١- المصدر نفسه/ ص ٧٥ .

١٢- المصدر نفسه/ ٧٥ .

١٣- المصدر نفسه/ ص٧٥ .
١٤- سورة آل عمران/ الآيات: ١١٣-١١٤-١١٥ .
١٥- سورة الأنبياء/ الآيات: ٨٩-٩٠.
١٦- حسين شيخ الاسلامي/ المصدر السابق/ ١١٥ .
١٧- المصدر نفس/ ص ٧٥ .
١٨- سورة الأنبياء/ الآية: ٩٠ .
١٩- سورة الواقعة/ الآية: ١٠-٢٦ .
٢٠ـ بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج٣١/ ص٣٣٨-٣٤٤ .

علي عليه السلام خير البشر

فاطمة كامل المسعودي/ باحثة إسلامية

قال -تعالى-: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)[1].

من المسلّمات أنّ رحيل الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- كان بعد ثلاث وعشرين سنة من الدّعوة الإسلامية، ولم يزل المسلمون آنذاك حديثي عهد بهذه الشّريعة الجديدة، ولا خلاف في ضرورة قيام شخصيّة مؤهّلة من بعده، لكي تستطيع الأمّة من بعده مواصلة مسيرتها، والنّبي-صلى الله عليه وآله- أعظم شخصيّة عرفتها الإنسانية على الإطلاق فلا بدّ أن يكون قد فكّر فيمن يقوم مقامه-صلى الله عليه وآله- لإرساء معالم الدّين وقيادة الأمّة الى الصّلاح والهداية من بعده فليس من المعقول أن يعتمد على قواعد شريعة خالدة أبدية دون طرح صيغة قويّة للقيادة ليضمن بقاء تلك الشّريعة.. هذا من جهة ومن جهة أخرى المخاطر التي كانت تهدّد هذا الدّين الجديد سواءً من الداخل وهم المنافقون، أو من الخارج كالإمبراطورية الفارسية التي أَقْدَمَ ملِكها على تمزيق رسالته-عليه الصلاة والسلام-، وكتب الى حاكم اليمن يأمره بإلقاء القبض عليه وإرسال رأسه!!

بالإضافة الى تجهيز الرّسول -صلى الله عليه وآله- وهو في آخر حياته جيشاً عظيماً بقيادة أسامة بن زيد لمواجهة الروم حتى لُعن من تخلّف عنه، وهذا يعني أنّ الرّوم خطر قائم يهدّد الدّين من بعده ... فمن الواضح أنّ الحِكمة الإلهية اقتضت أن تحسم مسألة الخلافة من بعده -صلى الله عليه وآله- بالنّص الصّريح فاختار الله -تعالى- على لسان نبيّه الأكرم شخصاً مناسباً وأعلن -صلى الله عليه وآله- للأمة أنّ الله -سبحانه وتعالى- اختار إماماً على الخلق ونصّبه للخلافة من بعده[2] ... وهذا الإمام هو علي بن أبي طالب -عليه السلام- ... ولو عُدنا الى الآية التي ابتدأنا بها (وجعلناهم أئمة) لوجدنا أنّ منصب الإمامة جَعْلٌ من الله -تعالى-: (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)[3] فكلمة(جاعلك) تعني أنّ أمر الإمامة بيد الله -تعالى-، والإمامة تعني القيادة في الأمة لقوله -تعالى-: (فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا)[4] فلأنّه إمام وجبت متابعته .. والإمامة

أيضاً ملك من الله- تعالى-. قال تبارك وتعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا)(٥).

من هم الأئمة المنصّبون من الله -تعالى- لإمامة الخلق؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال على مستويين:

المستوى الأول: إنّ كان هذا السؤال عن أسماء الأئمة، وأنسابهم، وأحوالهم فقد تكفّلت كتب التاريخ بالإشارة إلى ما يتعلق بكل إمام معصوم، والأئمة -عليهم الصلاة والسلام- هم:

الإمام الأوّل: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب _ عليه السلام _.

الإمام الثاني: أبو محمّد الحسن بن علي _ عليهما السلام _ المجتبى.

الإمام الثالث: الحسين بن علي بن أبي طالب _ عليهما السلام _ سيّد الشّهداء.

الإمام الرابع: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب _ عليهم السلام _ زين العابدين.

الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين _ عليهم السلام _ الباقر.

الإمام السادس: جعفر بن محمّد _ عليهما السلام _ الصادق.

الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر _ عليهما السلام _ الكاظم.

الإمام الثامن: علي بن موسى بن جعفر _ عليهم السلام _ الرضا.

الإمام التاسع: محمّد بن علي بن موسى _ عليهم السلام _ الجواد.

الإمام العاشر: أبو الحسن علي بن محمّد بن علي _ عليهم السلام _ الهادي.

الإمام الحادي عشر: الحسن بن علي بن محمد _ عليهم السلام _ العسكري.

الإمام الثاني عشر: الإمام المهدي ابن الحسن بن علي _ عليهم السلام _ المنتظر(٦).

ولمّا جرى في علم الله -عزّ وجلّ- أنّ هؤلاء الصّفوة سيُطبّقون كل القوانين الإلهية اختارهم الله على كلّ الخلق من بعد حبيبه المصطفى -صلوات الله عليهم أجمعين- وفي دعاء النّدبة إشارة واضحة لهذا المعنى الذي ذكرناه فلاحظ: (إذ اخترت لهم جزيل ما

عندك من النّعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزّهد في درجات هذه الدّنيا الدّنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقرّبتهم)[٧].

هذا بالنسبة إلى الإجابة على المستوى الأول..

وأما على المستوى الثّاني في بيان مقاماتهم – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين –: فسنقتطف بعضاً مما ورد في الزّيارة الجامعة الكبيرة .

...**السلام على الدّعاة الى الله**: " فدعاة جمع داعي كقضاة جمع قاضي، (الى الله) أي معرفته وعبادته وطاعته، وعن الإمام علي بن موسى الرضا-عليه السلام- في وصف الإمام: "الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي الى الله، والذّاب عن حرم الله"[٨].

... **وعباده المكرّمين**: أضافهم –سبحانه- الى نفسه لمزيد الاختصاص كما قال –تعالى-: **(إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان)**[٩]، والمكرّمين بالتّشديد أي الذين كرّمهم الله –تعالى- بالعصمة والطّهارة والمعرفة ونحوها[١٠]..

..**الذين لا يسبقونه بالقول**: أي لا يقولون بقول إلّا أن يكون مأخذه عنه –تعالى– ولا يتكلمون إلا بأمره بل كلامهم كلامه، فإذا تكلمّ أمير المؤمنين –عليه السلام– بشيء فهو ناطق بكلام الله –تعالى–، وهكذا باقي الأئمة–عليهم السلام–.

...**ومن جحدكم كافر**: لقوله–صلى الله عليه وآله–: "علي خير البشر، ومن أبى فقد كفر"[١١]، وجريان حكم الإسلام على جاحدي ومنكري إمامة الإمام علي بن أبي طالب، هو في الدّنيا رأفة ورحمة بالطائفة المحقة لعدم إمكان الاجتناب عنهم[١٢].

فمن جحد نعمة ولاية علي بن أبي طالب فهو كافر، ويؤيد ذلك ما روي في (مناقب) الغزالي الشافعي مرفوعاً الى أبي ذر قال: " قال رسول الله –صلى الله عليه

وآله-: من ناصب علياً للخلافة بعدي فهو كافر"[١٣].

وعن الإشماخ بن الخزرج قال: "قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: "لا يتقدّمك بعدي إلا كافر، ولا يتخلّف عنك بعدي إلا كافر"[١٤].

...**وإياب الخلق إليكم**: بكسر الهمزة: الرجوع في الدّنيا لأمور دينهم ودنياهم وأحكامهم شرائعهم وإصلاح معادهم ومعاشهم أو لأجل الحساب والشّفاعة (إليكم)، أو الى كلامكم، أو إلى مشاهدكم[١٥].

...**وحسابه عليكم**... فقد وكّل الله -تعالى- بالحساب جمعاً من الملائكة وهم أفضل من الملائكة، عن أبي جعفر-عليه السلام-: "قال: يا جابر إذا كان يوم القيامة وجمع الله -عزّ وجلّ- الأوّلين والآخرين لفصل الخطاب دُعي رسول الله -صلى الله عليه وآله- ودُعي أمير المؤمنين -عليه السلام- فيُكسى رسول الله -صلى الله وعليه وآله- حلة خضراء تضئ ما بين المشرق والمغرب، ويكسى علي -عليه السلام- مثلها، ويُكسى رسول الله -صلى الله عليه وآله- حلّة وردية يضئ لها ما بين المشرق والمغرب، ويُكسى علي -عليه السلام- مثلها، ثم يصعدان عندها، ثم يُدعى بِنا فيدفع إلينا حساب النّاس، فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وأهل النّار النّار"، وعن قبيصة عن أبي عبدالله -عليه السلام- في قوله-تعالى-: (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)، أسألك عن قول الله تعالى: " قال فينا التنزيل، قلت: إنّما أسألك عن التّفسير، قال: نعم يا قبيصة إذا كان يوم القيامة جعل الله حساب شيعتنا علينا فما كان بينهم وبين الله استوهبه محمد -صلى الله عليه وآله- من الله، وما كان فيما بينهم وبين النّاس من المظالم أدّاه محمد -صلى الله عليه وآله- عنهم، وما كان فيما بيننا وبينهم وهبناه لهم حتى يدخلوا الجنة بغير حساب"[١٦].

*

آيات قرآنية في ولاية الإمام علي بن أبي طالب-عليه السلام-

أكد المفسّرون في تفاسيرهم المعتبرة على نزول آيات شريفة عديدة في حَقِّ الإمام علي-عليه السلام- .

أولاً: قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (١٧).

وللتفصيل راجع: (جامع البَيَان) للطَبَري، (الدُّر المَنثور) للسيوطي، (فتح القدير) للشوكاني، (مَجمَع البَيَان) للطَبرسي.

ثانياً: قوله تعالى : (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) (١٨).

وللتفصيل راجع: (أسباب النزول) للواحدي، (رُوح المَعاني) للآلوسي، (الصواعِق المُحرقة) لابن حَجَر، (مَجمَع البَيَان) للطَبرسي .

ثالثاً : قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (١٩).

وللتفصيل راجع: (الكَشف والبَيَان) للثعلبي، (الكَشَّاف) للزَمَخْشري، (مُستَدرك الصحيحَين) للنيسابوري، (مَجمَع البَيَان) للطَبرسي.

رابعاً: قوله تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ)(٢٠).

وللتفصيل راجع: (الكَشف والبَيَان) للثعلبي، (التفسير الكبير) للقُرطُبي، (السراج المُنير) للشربيني، (مَجمَع البَيَان) للطَبرسي.

فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-عليه السلام-

لأمير المؤمنين-عليه السلام- فضائل كثيرة لا نقوى على إحصائها؛ لأنّ علي بن أبي طالب لن نعرفه بحقيقته بل ما عرفه إلا الله -تعالى- ورسوله الأكرم-صلى الله عليه وآله-... ولذا سنذكر عدداً من الرّوايات الشّريفة الواردة في فضائله-صلوات الله عليه- ومنها:

- قال النبي -صلى الله عليه وآله-: " من كتب فضيلة من فضائل علي لم تزل الملائكة تستغفر له، ومن ذكر فضيله من فضائله غفر الله له ما تقدّم من ذنوبه وما تأخر، ولا يتمّ إيمان عبد الا بحبه وولايته"(٢١).

- وعن ابن عمر قال: "سألت النبي -صلى الله عليه وآله- عن علي بن أبي طالب -عليه السلام- فغضب وقال: ما بال أقوام يذكرون منزلة من له منزلة كمنزلتي،... ألا ومن أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحب الله، ألا ومن أحبّ علياً لا يخرج من الدّنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبى ويرى مكانه من الجنة"(٢٢).

- وعن ابن عباس عن رسول الله-صلى الله عليه وآله- في حق علي -عليه السلام-: " كأنّي انظر إليك وأنت واقف على شفير جهنم وقد تطاير شررها وعلا زفرها واشتدّ حرّها وأنت آخذ بزمامها فتقول لك جهنّم: أجرني ياعلي فقد أطفأ نورك لهبي فتقول لها: قرّي يا جهنم خذي هذا واتركي هذا"(٢٣).

- وعن سعيد بن جبير قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: "جحود نعمة الله كفر وجحود نعمة نبوتي كفر وجحود نعمة ولاية علي كفر؛ لأنّ التّوحيد لا يبنى إلا على الولاية"(٢٤).

- قوله -صلى الله عليه وآله-: "لو اجتمع النّاس على حبّ علي -عليه السلام- لما خلق الله النّار"(٢٥).

- قوله -صلى الله عليه وآله- قال: "يا علي إنّ الله قد غفر لك ولأهلك وشيعتك ومحبّي شيعتك، فإنّك الأنزع البطين، منزوع من الشّرك بطين من العلم"(٢٦).

علّة تسمية علي بن أبي طالب بأمير المؤمنين؟ وتكنيته بأبي تراب؟ وعلّة تسمية سيفه -عليه السلام- بذي الفقار؟

لم تكن تسمية علي بن أبي طالب-عليه السلام- بأمير المؤمنين مرتبطة بمجيء الإسلام

قبل ألف وأربعمائة عام تقريباً، بل ولا في زمن الأنبياء الذين سبقوا نبيّنا -عليه وعلى أنبياء الله أفضل الصلاة والسلام-، وإنّما منذ بدء الخليفة، ومنذ بدء خلق آدم-عليه السلام- أبو الأنبياء(٢٧)، وأمّا عِلّة تسميته بذلك فسيتبين ذلك من خلال هذه الرواية الشّريفة:

عن أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر لِمَ سُمّي علي-عليه السلام- أمير المؤمنين وهو اسم ما سُمّي به أحد قبله ولا يحلّ لأحد بعده؟ قال لأنّه ميرة العلم يمتار منه ولا يمتار من أحد غيره، قال فقلت: يا بن رسول الله فلِمَ سُمّي سيفه ذا الفقار؟ فقال -عليه السلام-: لأنّه ما ضرب به أحد من خلق الله إلا أفقره من هذه الدّنيا من أهله وولده وأفقره في الآخرة من الجنة"(٢٨) .

وأما بالنّسبة لسبب تكنيته بأبي تراب فقد ورد بسند ينتهي إلى عباية بن ربعي قال: قلت لعبدالله بن عباس: لم كنّى رسول الله علياً أبا تراب؟ قال: لأنّه صاحب الأرض وحجة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها وإليه سكونها ولقد سمعت رسول الله يقول: إنّه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدّ الله تعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة قال يا ليتني كنت ترابا أي ليتني كنت من شيعة علي -عليه السلام-، وذلك قول الله -عزّ وجلّ-: (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) (٢٩) "(٣٠) .

حبُّ علي-عليه السلام- عبادة، والنّظر إلى وجهه عبادة:

في كتاب الأمالي عن محمد بن القسم الاسترابادي بأسانيده عن أبي هريرة: أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- جاءه رجل فقال: يا رسول الله أما رأيت فلاناً رَكِبَ البحر ببضاعة يسيرة وخرج إلى الصين فأسرع الكرّة وأعظم الغنيمة حتى قد حسده أهل ودّه وأوسع قراباته وجيرانه ؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: إنّ مال الدّنيا كلّما ازداد كثرة وعظماً ازداد صاحبه بلاء، فلا تغتبطوا أصحاب الأموال إلا بمن جاد بماله في سبيل الله، ولكن ألا أخبركم بمن هو أقلّ من صاحبكم بضاعة، وأسرع منه كرة،

وأعظم منه غنيمة، وما أعد له من الخيرات محفوظ له في خزائن عرش الرحمان ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: انظروا إلى هذا المُقبِل إليكم، فنظرنا فإذا رجل من الأنصار رثّ الهيئة فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: إنّ هذا لقد صعد له في هذا اليوم إلى العلو من الخيرات والطّاعات ما لو قسم على جميع أهل السّماوات والأرض لكان نصيب أقلّهم منه غفران ذنوبه ووجوب الجنة له، قالوا: بماذا يا رسول الله ؟ فقال: سلوه يخبركم عمّا صنع في هذا اليوم .

فأقبل عليه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله- وقالوا: له هنيئاً لك ما بشرك به رسول الله -صلى الله عليه وآله- فماذا صنعت في يومك هذا حتى كُتِب لك ما كُتِب ؟ فقال الرجل: ما أعلم أنّي صنعت شيئاً غير أنّي خرجت من بيتي وأردت حاجة كنت أبطأت عنها، فخشيت أن تكون فاتتني، فقلت في نفسي لاعتاضنّ منها النظر إلى وجه علي بن أبي طالب -عليه السلام- فقد سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله- يقول: (النّظر إلى وجه علي عبادة) فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: إي والله عبادة وأي عبادة، إنّك يا عبدالله ذهبت تبتغي أن تكتسب ديناراً لقوت عيالك ففاتك ذلك، فاعتضت منه النّظر إلى وجه علي وأنت له محب ولفضله معتقد، وذلك خير لك من أن لو كانت الدّنيا كلها لك ذهبة حمراء فأنفقتها في سبيل الله، ولتشفعن بعدد كل نفس تنفّسته في مصيرك إليه في ألف رقبة، يعتقهم الله من النّار بشفاعتك"(٣١).

مسك الختام ...

سلام على أمير المؤمنين، وسيّد الوصيّين، وقائد الغرّ المحجّلين، سرّ الله في أرضه، النّبأ العظيم، والصّراط المستقيم، ومن هو في أمّ الكتاب عليٌّ حكيم...

يا أبا الحسن والحسين:

العقل نـــورٌ وأنـــت معناه ... والكـــون سرٌّ وأنـــت مبـداه

والخلـــق في جمعهم إذا جُمعوا ... الكـــل عبـــد وأنـت مولاه

يا آية الله في العبـــــاد ويـــا ... سِـــرّ الذي لا إلـــه إلا هـــو

تناقض العالمون فيك وقـــد ... حاروا عن المهتدي وقد تاهوا

فقـــال قـــومٌ بأنّـــهُ بشـــر ... وقـــال قـــوم: بأنـــهُ الله

يا صاحب الحشر والمعاد ومن ... مـــولاه حكـــم العباد ولّاه

يا قاسم النّـار والجنان غـداً ... أنـت ملاذ الـرّاجي ومنجاه

لا يخـشى النّار عبـد حيدرةٍ ... إذ ليس في النّار مـن تـولاه

الهوامش:

(١) سورة النساء/ الآية: ٧٣.

(٢) ينظر القول الثابت/ محمد جمعه بادي/ النّاشر: شركة ذو الجناح للإنتاج الفني/ الكويت/ ص٨٩-٩١.

(٣) سورة البقرة / الآية: ١١٨.

(٤) سورة النّساء/ الآية: ٥٨.

(٥) عقائد أهل البيت -عليهم السلام-/ فاضل الفراتي/ ط١/ ٢٠٠٨م/ كربلاء المقدسة/ ص١٥٧.

(٦) للمزيد راجع المصادر الآتية: منتهى الآمال للشيخ عباس القمي؛ وموسوعة الشّيخ باقر شريف القرشي؛ الأئمة الاثني عشر لجعفر السّبحاني؛ أمير المؤمنين -عليه السلام- الإمام علي بن أبي طالب -يوم الدين؛ عيون الأخبار؛ موسوعة من المهد الى اللحد للسّيد محمد كاظم القزويني.

(٧) مفاتيح الجنان/ دعاء النّدبة.

(٨) الأنوار اللّامعة في شرح الزيارة الجامعة/ عبد الله شبر/ تحقيق: فاضل الفراتي، علاء الكاظمي/ ط٢/ ١٤٢٧هـ -٢٠٠٧م/ مطبعة باقري قم- إيران / ص٧٧.

(٩) سورة الإسراء/ الآية: ص٨٢.

(١٠) عبدالله شبر/ المصدر السابق/ ص٨٢.

(١١) المصدر نفسه/ ص١٤٢.

(١٢) المصدر نفسه/ ص١٤٢.

(١٣) مشارق أنوار اليقين/ الحافظ رجب البرسي/ ط١/ ٢٠١٠م-١٤٣١ه/ دارالجوادين/ بيروت لبنان/ ص٧٠، نقلاً عن الطرائف/ ج١/ ص٢٣؛ ص٩١؛ كشف اليقين/ ص٢٩٣؛ نهج الحق/ ص٢٦٠.

(١٤) المصدر نفسه / ص٧٠، ص ٢٤١.

(١٥) عبدالله شبر/ المصدر السابق / ص١٢٦-١٢٧.

(١٦) المصدر نفسه/ ص١٢٧-١٢٨.

(١٧)سورة المائدة/ الآية: ٦٧.

(١٨) سورة الصافات: الآية: ٢٤ ..

(١٩) سورة المائدة/ الآية: ٥٥ .

(٢٠) سورة المعارج/ الآيات ١ - ٢.

(٢١) الحافظ رجب البرسي/ المصدر نفسه/ ص٧٦، نقلاً عن كشف الغمة / ج١/ ص١١٢.

(٢٢) المصدر نفسه/ ص٨١.

(٢٣) المصدر نفسه/ ص٧٦.

(٢٤) المصدر نفسه/ ص٧٠.

(٢٥) أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- يوم الدين/ علي الهادي رضا/ ط١/ ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م/ ج١/ ص٣٢٩ .

(٢٦) المصدر نفسه/ ص٣٣٣.

(٢٧) ينظر اميرزا محمد تقي الممقاني/ المصدر السابق/ ج١/ ص٣٣٣.

(٢٨) علل الشّرائع/ الصّدوق(ت٣٨١هـ)/ ط١/ ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ/ منشورات الفجر/ بيروت- لبنان / ج١/ ص١٢٩.

(٢٩) سور النبأ/ الآية:٣٠.

(٣٠) ميرزا محمد تقي الممقاني/ المصدر السابق/ ج١/ ص٤٢٦-٤٢٧.

(٣١) بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج٣٤/ ص١٩٧.

علی ولی الله
فداحی

وليّ الله
علي

خصائص الإمام علي عليه السلام

محمد رضا الأسدي/ صحفي

من نعم الله -تعالى- على المؤمنين إذ أرسل إليهم رسولاً منقذاً ليخرجهم من الظلمات إلى النور، حيث قال -سبحانه وتعالى-: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)(١)، وجعل له من بعده أوصياءً أولهم علي بن أبي طالب -عليه السلام- وهو ابن عمه ووصيّه وخليفته من بعده وحامل لوائه، وهو كما وصفه الإمام زين العابدين-عليه السلام- في خطبته: " أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النّبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصّابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والنّاكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه النّاصبين وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السّابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، ووليّ أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه سمح، سخي، بهي، بهلول، زكي، أبطحي، رضي، مقدام، همام صابر، صوام، مهذب، قوام، قاطع الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنّة، وقربت الأعنة، طحن الرحا ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكّي مدني خيفي عقبي بدري أحدي شجري مهاجري، من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين وأبو السّبطين: الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب.(٢).

لقد تميّز -عليه السلام- بمناقب وفضائل لم تكن لاحد قبله ولا بعده، وكان الصحابة يتمنون ولو واحدة منها، على قول أحدهم «لكانت أحبُّ إليَّ من حُمُر النِعَم» ومن هذه الخصوصيات التي انفرد بها وحاز فيها الفضل والكرامة من الله -سبحانه وتعالى-:

١_ ولادته في جوف الكعبة.

فضيلة طفحت بها الكتب وتظافر على نقلها كبار المحدّثين والمؤرّخين فقد تشرفت الكعبة بولادة الإمام الهمام علي بن أبي طالب-عليه السلام- فيها، فعن سعيد بن جبير، قال: قال يزيد بن قعنب: «كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين، وكانت حاملاً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطّلق، فقالت: ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وأنّه بنى بيتك العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسّرت عليّ ولادتي .

قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت قد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة وغابت عن أبصارنا فيه والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب، فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من الله عزّوجلّ، ثم خرجت بعد الرّابع وبيدها أمير المؤمنين علي -عليه السلام-.

فقالت: إنّي فُضّلتُ على من تقدّمني من النّساء لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله عزّوجلّ سرّاً في موضع لا يحب أن يُعبد الله فيه إلا اضطراراً، وأنّ مريم بنت عمران هزّت النّخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وأنّي دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة! سمّيه عليا، فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إنّي شققت اسمه من اسمي وأدّبته بأدبي ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدّسني ويمجّدني، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه»(٣).

يصف السيد الحميري هذه الحادثة في أبياتٍ من الشّعر وهي من أروع ما قيل في حق

أمير المؤمنين وأمّه الطّاهرة-عليهما السلام-:

ولـــدته في حـــرم الإله أمـــه * والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمـــة * طابت وطاب وليدها والمولد

في ليلة غابت نحوس نجومها * وبدت مع القمر المنير الأسعد

ما لـف في خرق القوابل مثله * إلا ابـــن آمنـة النـــبي محمـد.

إنّ ولادته -عليه السلام-، في الكعبة المشرفة، أمر صنعه الله -تعالى- له؛ لأنّه يريد أن تكون هذه الولادة رحمة للأمة، وسبباً من أسباب هدايتها.. وقد جرى هذا الصّنع الإلهي له -عليه السلام- حيث كان لايزال في طور الخلق والنّشوء في هذا العالم الجديد.. ليدل دلالة واضحة على اصطفائه تعالى له، وعنايته به..

وذلك من شأنه أن يجعل أمر الإهتداء إلى نور ولايته أيسر، ويكون الإنسان في إمامته أبصر..

٢_ احتضان النبيّ الأكرم -صلى الله عليه وآله- له منذ صغره.

لقد تربّى الإمام علي بن أبي طالب-عليه السلام- في حجر الرّسالة وتحت رعاية أشرف الخلق أجمعين الرسول الكريم-صلى الله عليه وآله- وقد أشار إلى ذلك إمامنا علي بن أبي طالب -عليه السلام- في إحدى خطبه قائلاً:

" وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ-صلى الله عليه وآله- بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وليدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ.

وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالَى بِهِ-صلى الله عليه وآله- مِنْ لَدُنْ [أَنْ] كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَماً مِنْ أَخْلاَقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وآله- وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا"(٤).

٣ _ سبقه الجميع في الإسلام.

لقد كان الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- هو السبّاق في كل شيء، فقد كان أول المسلمين إسلاماً وإيماناً، فعن العباس بن عبد المطلب قال: "سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول: ...إنّي سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله- يقول: في علي ثلاث خصال، وددت أن يكون لي واحدة منهنّ، فواحدة منهنّ أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشّمس: كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله- إذ ضرب النبي -صلى الله عليه وآله- على كتف علي بن أبي طالب -عليه السلام- فقال: "يا علي أنت أوّل المسلمين إسلاماً، وأنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، كذب يا علي من زعم أنّه يحبّني ويبغضك"(٥).

٤ _ مؤاخاة النبيّ -صلى الله عليه وآله- له من دون باقي الصحابة.

المؤاخاة هي من أروع المواقف التي جمعت بين الرسول الكريم محمد-صلى الله عليه وآله- وبين الإمام علي -عليه السلام- إذ اختاره من دون باقي الصحابة، فعن الرضا -عليه السلام-، عن آبائه -عليهم السلام- قال: " قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: يا علي أنت أخي ووزيري وصاحب لوائي في الدّنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضي، من أحبّك أحبّني، ومن أبغضك أبغضني".(٦)

٥ _ حمله من قبل النبيّ -صلى الله عليه وآله- على كتفه لطرح الأصنام الموضوعة في الكعبة.

لقد انحنى الشرك أمام علي-عليه السلام- وهو يحطّم بيديه الكريمتين أصنام الكفر والضلال، عن الإمام علي -عليه السلام- قال: "دعاني رسول الله -صلى الله عليه وآله- وهو بمنزل خديجة ذات ليلة، فلمّا صرت إليه قال: اتبعني يا علي، فما زال يمشي

وأنا خلفه ونحن نخرق دروب مكة حتى أتينا الكعبة وقد أنام الله كل عين، فقال لي رسول الله -صلى الله عليه وآله-: يا علي، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: اصعد على كتفي يا علي، قال: ثم انحنى النبي -صلى الله عليه وآله- فصعدت على كتفه فألقيت الأصنام على رؤوسهم وخرجنا من الكعبة -شرفها الله تعالى- حتى أتينا منزل خديجة، فقال لي: إنّ أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم ثم أنت يا علي آخر من كسر الأصنام، فلما أصبحوا أهل مكة وجدوا الأصنام منكوسة مكبوبة على رؤوسها فقالوا: ما فعل هذا إلا محمد وابن عمه، ثم لم يقم بعدها في الكعبة صنم"(٧).

٦_ استمرار ذرية رسول الله -صلى الله عليه وآله- من صلبه.

من الخصائص المهمّة التي خصّ الله تعالى بها الإمام أمير المؤمنين-عليه السلام- أن جعل استمرار ذرية المصطفى-صلى الله عليه وآله- من صلبه، فعن الصادق عن آبائه -عليهم السلام- قال: "قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: إنّ الله تعالى جعل ذرّية كل نبي من صلبه، وجعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب مع فاطمة ابنتي، وإنّ الله تعالى اصطفاهم كما اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، فاتبعوهم يهدوكم إلى صراط مستقيم، وقدّموهم ولا تتقدموا عليهم فإنّهم أحلمكم صغاراً، وأعلمكم كباراً، فاتبعوهم فإنّهم لا يدخلونكم في ضلال، ولا يخرجونكم من هدى"(٨).

فهنا تتبلور عندنا أهمية الاقتداء بأمير المؤمنين والأئمة من ولده-عليهم السلام- فعن الرضا عن آبائه -عليهم السلام- قال: "قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: من أحب أن يركب سفينة النّجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين فليوال علياً بعدي، وليعاد عدوه، وليأتم بالهداة من ولده، فإنّهم خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي، وسادة أمتي، وقادة الاتقياء إلى الجنة. حزبهم حزبي، وحزبي حزب الله عزّوجلّ، وحزب أعدائهم حزب الشيطان"(٩).

٧ ـ بصاق النبيّ -صلى الله عليه وآله- في عينيه يوم خيبر، ودعاؤه له بأن لا يصيبه حرّ ولا برد.

روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنّ النّاس قالوا له: قد أنكرنا من أمير المؤمنين أنه يخرج في البرد في الثوبين الخفيفين وفي الصيف في الثوب الثّقيل والمحشو، فهل سمعت أباك يذكر أنه سمع من أمير المؤمنين في ذلك شيئا ؟ قال: لا، قال: وكان أبي يسمر مع علي بالليل فسألته قال: فسأله عن ذلك فقال: يا أمير المؤمنين إنّ النّاس قد أنكروا، وأخبره بالذي قالوا، قال: أو ما كنت معنا بخيبر ؟ قال: بلى، قال: فإنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- بعث أبا بكر وعقد له لواء، فرجع وقد انهزم هو وأصحابه، ثم عقد لعمر فرجع منهزماً بالناس، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: والذي نفسي بيده لأعطين الرّاية رجلاً يحب الله ورسوله، ليس بفرار، يفتح الله على يديه، فأرسل إليّ وأنا أرمد، فتفل في عيني وقال: اللهم اكفه أذى الحر والبرد، فما وجدت حراً بعده ولا برداً. وفي رواية أخرى: فنفث في عيني فما اشتكيتها بعد، وهزّ لي الرّاية فدفعها إليّ، فانطلقت ففتح لي...، وروى حبيب بن أبي ثابت عن أبي الجعد مولى سويد ابن غفلة عن سويد بن غفلة قال: لقينا علياً في ثوبين في شدّة الشّتاء، فقلنا له: لا تغتر بأرضنا هذه فإنّها أرض مقرة ليست مثل أرضك، قال: أما إني قد كنت مقروراً فلمّا بعثني رسول الله -صلى الله عليه وآله- إلى خيبر قلت له: إنّي أرمد، فتفل في عيني ودعا لي، فما وجدت برداً ولا حرّاً بعد، ولا رمدت عيناي(١٠).

٨ ـ إنّ حبّه إيمان وبغضه نفاق.

من أحبّ علي بن أبي طالب-عليه السلام- فقد رفعت درجته، وأوتي الإيمان وأحبه الله-تعالى- ورسوله؛ لأنّ علي بن أبي طالب هو الإيمان، وهو القرآن الناطق، ومن أبغضه فقد أبغض الله -تعالى- ورسوله-صلى الله عليه وآله-.

فعن سهل بن سعد قال: بينا أبو ذر قاعد مع جماعة من أصحاب رسول الله -صلى

الله عليه وآله- وكنت يومئذ فيهم إذ طلع علينا علي بن أبي طالب -عليه السلام- فرماه أبو ذر بنظره ثم أقبل على القوم بوجهه فقال: من لكم برجل محبته تساقط الذّنوب عن محبيه كما تساقط الرّيح العاصف الهشيم من الورق عن الشجر؟ سمعت نبيكم -صلى الله عليه وآله- يقول له ذلك، قالوا: من هو يا أبا ذر ؟ قال: هو الرجل المقبل إليكم ابن عمّ نبيّكم، سمعته يقول: علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبغضه نفاق والنّظر إليه برأفة ومودة عبادة. وسمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله- يقول: مثل أهل بيتي في أمّتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن رغب عنها هلك، ومثل باب حطة في بني إسرائيل. ثم قال: يا أبا ذر من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله الذي بينه وبين عباده، ومن أحسن سريرته أحسن الله علانيته، إنّ لقمان الحكيم قال لابنه وهو يعظه: يا بني من ذا الذي ابتغى الله -عزّ وجلّ- فلم يجده ؟ ومن ذا الذي لجأ إلى الله فلم يدافع عنه ؟ أم من ذا الذي توكّل على الله فلم يكفه ؟ ثم مضى يعني عليا -عليه السلام- فقال أبو ذر -رحمه الله-: والذي نفس أبي ذر بيده ما من أمّة ائتمّت - أو قال: اتبعت - رجلاً وفيهم من هو أعلم بالله ودينه منه إلا ذهب أمرهم سفالاً(١١).

٩ ـ إنّ النبيّ -صلى الله عليه وآله- بَاهَل النّصارى به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب.

لقد كان حول الرسول الكريم-صلى الله عليه وآله- أهل بيتٍ لو سألوا الله -تعالى- أن يُزيل جبلاً من مكانه لأزاله، لِفضلهم وكرامتهم ومنزلتهم الرفيعة عند الخالق وهم؛ علي وفاطمة والحسن والحسين كلهم تحت رعاية محمد المصطفى-صلوات الله عليهم أجمعين- فهم أصحاب الكساء الذين قال الله -تعالى- فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١٢).

قال الشيخ المفيد -رحمه الله- في كتاب الفصول: قال المأمون يوماً للرضا -عليه

السلام-: أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين -عليه السلام- يدل عليها القرآن، قال: فقال الرضا -عليه السلام-: فضيلة في المباهلة، قال الله -جل جلاله-: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(١٣) فدعا رسول الله -صلى الله عليه وآله- الحسن والحسين -عليهما السلام- فكانا ابنيه، ودعا فاطمة -عليها السلام- فكانت في هذا الموضع نساءه ودعا أمير المؤمنين -عليه السلام- فكان نفسه بحكم الله -عزّوجل-، وقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق الله تعالى أجلّ من رسول الله -صلى الله عليه وآله- وأفضل، فواجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله بحكم الله -عزّوجلّ- (١٤).

١٠ _ تبليغه سورة براءة عن النبيّ -صلى الله عليه وآله-.

كان أمير المؤمنين-عليه السلام- هو اليد اليمنى للرسول الكريم-صلى الله عليه وآله- وهو مستودع سرّه وأمينه الذي يأتمنه وثقته فكان -عليه السلام- صاحب المهمّات الصّعبة لا أحد غيره من الصحابة.

عن الحسين بن زيد قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه -عليهما السلام- قال: لما سرح رسول الله -صلى الله عليه وآله- أبا بكر بأول سورة براءة إلى أهل مكة أتاه جبرئيل -عليه السلام- فقال: يا محمد إنّ الله يأمرك أن لا تبعث هذا وأن تبعث علي بن أبي طالب، وإنّه لا يؤدّيها عنك غيره، فأمر النبي -صلى الله عليه وآله- علي بن أبي طالب -عليه السلام- فلحقه فأخذ منه الصّحيفة وقال: ارجع إلى النّبي، فقال أبو بكر: هل حدث في شيء ؟ فقال: سيخبرك رسول الله، فرجع أبو بكر إلى النبي فقال: يا رسول الله ما كنت ترى أنّي مؤدّ عنك هذه الرّسالة ؟ فقال له النّبي -صلى الله عليه وآله-: أبى الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب -عليه السلام-...قال: فانطلق علي -عليه السلام- حتى قدم مكة، ثم وافى عرفات، ثم رجع إلى جمع، ثم إلى منى، ثم ذبح وحلق، وصعد

على الجبل المشرف المعروف بالشّعب فأذّن ثلاث مرات: ألا تسمعون يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم ؟ ثم قال: (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) تسع آيات من أولها، ثم لمع بسيفه فأسمع الناس وكرّرها فقال النّاس: من هذا الذي ينادي في النّاس؟ فقالوا: علي بن أبي طالب، وقال من عرفه من الناس: هذا ابن عم محمد، وما كان ليجترئ على هذا غير عشيرة محمد، فأقام أيّام التّشريق ثلاثة ينادي بذلك ويقرأ على النّاس غدوة وعشية، فناداه النّاس من المشركين: أبلغ ابن عمك أن ليس له عندنا إلا ضرباً بالسّيف وطعنا بالرماح. ثم انصرف علي -عليه السلام- إلى النبي -صلى الله عليه وآله- يقصد في السّير...(١٥).

وينبأ عن إطباق الصحابة الأولين على هذه المأثرة لأمير المؤمنين استنشهاده -عليه السلام- بها أصحاب الشورى يوم ذاك بقوله: أفيكم من اؤتمن على سورة براءة، وقال له رسول الله -صلى الله عليه وآله-: إنّه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني، غيري؟ قالوا: لا(١٦).

١١ ـ إنّ النبيّ -صلى الله عليه وآله- خصّه يوم الغدير بالولاية.

يوم الغدير هو يوم كمال الدّين وتمام النّعمة ففي ذلك اليوم أخذ رسول الله-صلى الله عليه وآله- "أخذ بيد علي فرفعها ... وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيّها النّاس من أولى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرّات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال: أللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب، ثم لم يتفرّقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)المائدة: الآية٣. فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي، ثم طفق القوم يُهنِّئون أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- وممن هنّأه في مقدم الصّحابة: الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم.. "(١٧).

١٢ _ أنّه القائل: «سلوني قبل أن تفقدوني».

كان أمير المؤمنين-عليه السلام- باب مدينة علم رسول الله -صلى الله عليه وآله- فقد حوى العلوم جميعها، ومن أراد العلم فليدخل من بابه.

فهو القائل: "ألا يا أيّها النّاس! سلوني قبل أن تفقدوني إنّي بطرق السّماء أعلم من العالم بطرق الأرض، أنا يعسوب الدّين وغاية السّابقين ولسان المتقين، وخاتم الوصيين ووارث النّبيين، وخليفة ربّ العالمين، أنا قسيم النّار، وخازن الجنان، وصاحب الحوض، وصاحب الأعراف، وليس منّا أهل البيت إمام إلا عارف بجميع أهل ولايته، وذلك قول الله -تبارك وتعالى-: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)(١٨).

١٣ _ إنّ النبيّ -صلى الله عليه وآله- خصّه بتغسيله وتجهيزه والصّلاة عليه.

بعد رحيل المصطفى-صلى الله عليه وآله- من الدنيا تكفّل الإمام علي-عليه السلام- بتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه، وكانت تلك خصيصة اختص بها أمير المؤمنين-عليه السلام-.

قال جعفر الصادق -عليه السلام-: إنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- أوصى إلى علي -عليه السلام- أن لا يغسلني غيرك...(١٩).

١٤-إنّ الناس جميعاً من أرباب الأديان، وغيرهم ينظرون إليه كأعظم رجل عرفه التاريخ.

قال العلامة السيد الرضي: (كَان أمير المؤمنين -عليه السلام- مشرِّعُ الفصاحة ومُورِدُها، ومُنشأ البلاغة ومُولِدُها، ومنه -عليه السلام- ظهر مَكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سَبَقَ فَقَصَرُوا، وتَقَدَّمَ وتَأَخَّرُوا؛ لأنّ كلامه -عليه السلام- الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي، ومن عجائبه -عليه السلام- التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها، أنَّ كلامَهُ الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر، إذا تأمّله المتأمّل، وفكّر فيه المُتَفَكِّر، وخَلَعَ من قلبه، أنّه كلام مثله ممن عَظُمَ قَدَرُه، ونفذ أمره، وأحاط بالرّقاب مُلكُه، لم يعترضه الشّك في أنّه من كلام من لاحظ له في غير الزّهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قَد قبع في كسر بيت، أو انقَطَعَ إلى سَفحِ جبل، لا يَسمَعُ إلا حِسَّهُ، ولا يَرى إلا نَفسَهُ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه، فَيَقُطُّ الرِّقَابَ، ويُجدِلُ الأبطال، ويعود به ينطف دما، ويقطر مهجا، وهو مع ذلك الحال زاهد الزّهّاد، وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللّطيفة، التي جمع بها الأضداد، وألَّفَ بين الأشتات)(٢٠).

قال السيد أبو القاسم الخوئي: "إنّ تصديق علي -عليه السلام- -وهو ما عليه من البراعة في البلاغة- هو بنفسه دليل على أنّ القرآن وحي إلهي، كيف وهو ربُّ الفصاحة والبلاغة، وهو المثل الأعلى في المعارف"(٢١).

الهوامش:

١- سورة آل عمران/ الآية: ١٦٤.

٢ـ بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر : مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ج٤٥/ ص١٣٨.

٣- رواه الصدوق في علل الشرائع ١: ١٤٦، ومعاني الأخبار: ٦٢، الأمالي: ١١٤.

٤ـ نهج البلاغة/ جمع الشريف الرضي/ تحقيق فارس الحسون/ ط١/ ١٤١٩هـ/ مطبعة ستارة/ قم المقدسة/ ص٣٩٥.

٥- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٣٨/ ص٢٤٦ .

٦-المصدر نفسه/ ج٨/ ص ١٩ .

٧-المصدر نفسه/ ج٣٨/ ص ٨٤-٨٥ .

٨- المصدر نفسه/ ج ٢٣/ ص ١٤٤ .

٩- المصدر نفسه/ ج ٢٣/ ص١٤٤.

١٠- المصدر نفسه/ ج٤١/ ص ٢٨٢ .

١١- بالمصدر نفسه/ ج ٢٧/ ١١٣ .

١٢- سورة الأحزاب/ الآية: ٣٣.

١٣- سورة آل عمران/ الآية: ٦١.

١٤- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٣٥/ ص ٢٥٧.

١٥- المصدر نفسه/ ج ٣٥/ ص٢٨٧-٢٨٨.

١٦- الغدير/ ج٨/ ٤٠٥ .

١٧-المصدر نفسه/ ج١/ ص ١٤ .

١٨- محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٥٣/ ص ٨١ .

١٩-المصدر نفسه/ ج٢٢/ ص ٥١٥-١١٦ .
٢٠ـ الشريف الرضي/ المصدر السابق/ ص١٨-٢٢ .
٢١- البيان في تفسير القرآن/ أبو القاسم الخوئي/ منشورات أنوار الهدى/ مطبعة فروردين/ ١٤٠١هـ-١٩٨١م/ ط٨/ ص ٧٧.

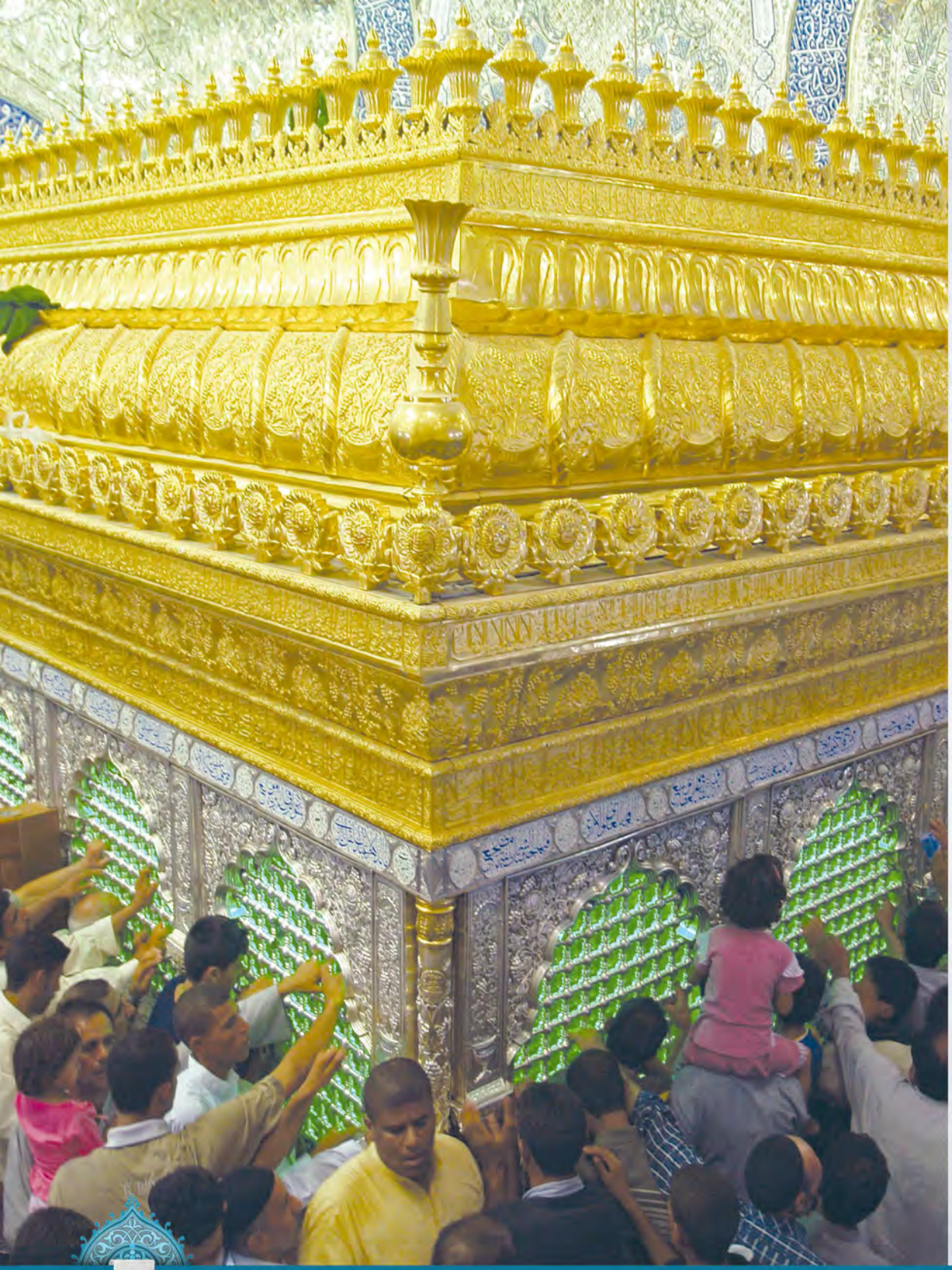

حق الرّعية والرّاعي

صباح الصافي / باحث اسلامي

قال الإمام علي-عليه السلام-: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ)[1].

أدب الإمام -عليه السلام- واهتمامه بالنّاس:

قبل أن نشير إلى حقوق النّاس على الإمام-عليه السلام- قد يتبادر الى الذّهن سؤال: لماذا قدَّم أمير المؤمنين-عليه السلام- حقوق النّاس على حقوقه؟

والجواب: إنَّما بدأ -سلام الله عليه- بذلك أدباً واستدراجاً لهم، فإنَّ البدء ببيان حق الآخرين على النّفس مما يدلّ على أدب المتكلم أوّلاً، وثانياً أنَّه يؤدّي إلى إقبال النّاس عليه[2].

فالنّاس ولعله بصورة عامة تقبل على الإنسان الذي يقدِّم مصلحة النّاس على مصلحته، وهكذا كان أمير المؤمنين- عليه السلام- دائماً يقدم مصلحة الآخرين على مصلحته.

يروى أنَّ قنبراً قال لأمير المؤمنين- عليه السلام-: " قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً، قال: وما هو ويحك! قال: قم معي، فانطلق به إلى بيته، وإذا بغرارة مملوءة من جامات ذهباً وفضة، فقال: يا أمير رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال، فقال-عليه السلام-: ويحك يا قنبر: لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة. ثم سلَّ سيفه وضربه ضربات كثيرة، فانتثرت من بين إناءٍ مقطوع نصفه وآخر ثلثه؟، ونحو ذلك ثم دعا النّاس، فقال: اقسموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبراً وفسال، فقال: ولتقسموا هذا: فقالوا لا حاجة لنا فيه...)[3].

ما يحتاجه المجتمع ليكون صالحاً:

أولا: النصيحة:

النّصيحة لغة: نصح الشيء، خلص والنّاصح: الخالص من العسل وغيره، وكل شيء نصح فقد خلص... والنّصح: نقيض الغش مشتق منه نصحه وله نُصحاً ونصيحةً ونصاحةً ونصاحيةً ونصحاً... ويُقال: نصحت له نصيحتي نصوحاً أي أخلصت وصدقت، والاسم النصيحة[٤].

والنُّصحُ: تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه)[٥].

(وأصل النّصيحة في اللغة الخلوص)[٦].

أما اصطلاحاً: فإنَّ أغلب من عرفها رجع إلى المعنى اللغوي، ولِأنقل لك قسماً من هذه التعاريف:

١- النّصيحة: كلمة تقال بدافع الخير والإحسان والحب والود، ولا يستحق قائلها إلا الشّكر عليها[٧].

٢- النّصيحة: هي إرادة بقاء نعمة الله على المسلمين، وكراهة وصول الشر إليهم وإرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم[٨].

٣- النّصيحة: هي الحثُّ على مكارم الأخلاق والجلب إلى ما هو الأليق بهم في معاشهم ومعادهم[٩].

٤- النّصيحة: الإرشاد إلى سعادة الدّنيا والآخرة[١٠].

أهمّيّة النّصيحة:

تُعد النّصيحة من المفاهيم المهمّة والكبيرة في إنشاء المجتمع الصّالح، بل هي أحد أعمدته الأربعة[١١] ولذلك نجد أنَّ أفضل النّاس منزلة من يكثر هذا العمل.

عن رسول الله -صلى الله عليه وآله-: "إنَّ أعظم النّاس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنّصيحة لخلقه"[١٢].

وعن أبي عبد الله- عليه السلام-: "عليكم بالنّصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه"[١٣].

ولعلَّ هذا الحث الكبير على النصيحة لما لها من دور في بناء المجتمع، وإصلاح الخطأ وعدم انتشاره، ولما لها من دور في نشر المودّة والمحبّة بين النّاس.

عن أمير المؤمنين - عليه السلام-: "طوبى لمن أطاع ناصحاً يهديه، وتجنّب غاوياً يرديه"[١٤]، وعنه - عليه السلام-: "النّصح يثمر المحبة"[١٥]، وعنه -صلوات الله عليه- : " النّصيحة تثمر الود"[١٦].

ثانيا: توفير المال:

(الوَفرُ: المال التّام. يُقال: وفرت كذا: تممته وكملته، أفِرهُ وفراً ووفُوراً وَفِرةً ووفرتُه على التّكثير)[١٧].

(الفيء: الغنيمة والخراج)[١٨].

فيكون معنى (توفير فيئكم)؛ أي تكثير الخراج والمال وأمّا إضافة كلمة(عليكم) فلأجل أن يبيِّن -عليه السلام- بأنَّه لا يكتفي بتكثير مال بيت المسلمين وإنّما تكثيره لأجل سدّ حاجاتهم[١٩].

من طرق توفير الفيء:

وأما كيفية تكثير الخوارج ومال بيت المسلمين فيجدر الإشارة إلى بعض القواعد العامة المهمّة منها:

١- عدم توزيع المال في غير وجوهه، مما ليس فيه مصلحة[٢٠].

٢- المساواة في توزيعها، وعدم تفضيل أحد على الآخرين. ولعل هذا السبب هو من أهم الأسباب التي جعلت النّاس يتركون الإمام علي بن أبي طالب-عليه السّلام- ،فكثير من النّاس كانت تفضّل نفسها على الآخرين وتطالب بزيادة خراجها.

جاء في كتاب شرح نهج البلاغة ما نصّه: "آكد الأسباب في تقاعد العرب عن أمير

المؤمنين -عليه السلام- أمر المال فإنَّه لم يكن يفضّل شريفاً على مشروف، ولا عربيّاً على أعجمي، ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك النّاس علياً والتحقوا بمعاوية"[٢١].

ولما سُئل -عليه السّلام- عن سبب عدم بذله للمال لأجل كسب الرّجال قال-عليه السلام-: (وأما ما ذكرت من بذل الأموال، واصطناع الرّجال فإنَّه لا يسعنا أن نؤتي أمراً من الفيء أكثر من حقه، وقد قال الله -سبحانه وتعالى- وقوله الحق: (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)[٢٢]، وقد بعث الله محمداً -صلى الله عليه وآله- وحده فكثره بعد القلة وأعزَّ فئته بعد الذّلة، وإن يُرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه، وأنا قابلٌ من رأيك ما كان لله عزّوجلّ رضاً ..)[٢٣].

٣- زراعة الأرض وتعميرها وإنشاء ما يوجب الفائدة لكل فرد من أفراد المجتمع(٢٤).

ثالثا: التعليم:

أي تعليمكم أحكام دينكم وما تحتاجون إليه، حتى تتخلصوا من الجهل والذي هو بوّابة كل شر.

عن الإمام علي بن أبي طالب-عليه السلام-: "الجهل أصل كل شر"(٢٥)، وعنه -عليه الصلاة والسلام -: "الجهل فساد كل أمر"(٢٦)، وعنه -عليه السلام-: "الجهل يفسد المعاد"(٢٧).

ومما يبدو عند الرجوع إلى كتب اللغة وجود حكمة في أن الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- استخدم صيغة (تعليمكم) بدل (أعلمكم).

فـ(أُعلمته وعلّمته في الأصل واحد، إلا أنَّ الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم)(٢٨).

وبعبارة أخرى: إنَّ الإمام -عليه السلام- كان يكرر ويكثر من تعليم النّاس حتى

يصبح الحق واضحاً لا غبار عليه، ولأجل رفع ظلام الجهل، وهذه العبارة تجرّنا إلى فائدة مهمّة وهي أنَّ العلم لا يحصل إلا بالتّكرار والإكثار منه، وهذا ما نجده واضحاً في أحاديث أمير المؤمنين -عليه السلام- حين يتحدث عن العلم وسبل الحصول عليه فيقول -عليه السلام-: (تعلَّم تعلَم)(٢٩).

وأما سبب قوله-عليه السلام-: (كيلا تجهلوا) بدلاً من (كيما تعلموا)؛ (لأنّ ظهور المنة عليهم يذكر نفي الجهل عنهم أشر من ظهورها في ذكر عرض إيجاد العلم لهم، ولذلك كان تأذّي الرجل وأنفته من أن يقال له: يا جاهل، أشد بكثير من أن يقال له: لست بعالم)(٣٠).

رابعاً: التّربية والتّأديب:

(الأدب: حسن الأخلاق... وأدّبته أدباً من باب ضرب: علمته رياضة النّفس ومحاسن الأخلاق)(٣١).

فيكون المعنى: وتزكية نفوسكم كي تعلموا، فالتّأديب مقدّمة العلم، وعنوان الفلاح والنّجاح، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة المهمة، فقال -تعالى-: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)**(٣٢).

فقد جاء التّركيز بعد عدّة أقسام، ومن ضمنها القسم بالذّات الإلهية تكرر ثلاث مرات، على أنَّ النجاح والفلاح في تزكية النّفس، وأنَّ الخيبة والخسران في ترك تزكيتها(٣٣).

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام-: " نفسك عدوٌ ومحاربٌ، وضدٌ مواثبٌ إن غفلت عنها قتلتك"(٣٤).

وعن أبي جعفر -عليه السلام-: "إنَّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً"(٣٥)، وعن الإمام السجاد -عليه السلام-: "قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: ما يُوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق"(٣٦).

أهمّيّة أداء الحقوق:

هذه هي حقوق أربعة تجب على إمام الرّعية:

الأوّل منها: يرجع إلى صلاح أبدانهم وهو توفير فيئهم.

الثّاني والثّالث: يرجعان إلى صلاح نفوسهم من خلال إصلاح القوة النّظرية بالتّعليم، وإصلاح القوّة العملية بالتّأديب.

الرابع: يشترك بين مصلحتي البدن والنّفس ونظام أحوالها وهو النّصيحة لهم(٣٧).

حقّ الرّاعي على الرّعيّة:

حق الرّاعي أهم الحقوق الاجتماعية:

حق الوالي أو الرّاعي أو الإمام من أهم الحقوق الاجتماعية التي افترضها الله –سبحانه–، فصلاح الرّعية مرتبط إلى حدٍّ كبير بصلاح الولاة.

ويمكن القول أنَّ هناك علاقة متبادلة بين الرّاعي والرّعيّة كلٌ يؤثّر على الآخر سلباً أو إيجاباً.

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –عليه السلام–: "وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ

الْأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ" (٣٨).

فتبادل الحقوق بين الرّاعي والرّعية، مما يورث سعادة كليهما في الدّنيا والآخرة، وأهم حقوق الرّاعي على الرّعية هي:

أولاً: الوفاء بالبيعة:

(البيعة: الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة، والبيعة: المبايعة والطاعة. وقد تبايعوا على الأمر: كقولك اصفقوا عليه)(٣٩).

(وبايع السلطان: إذا تضمن بذل الطّاعة له بما رضخ له)(٤٠).

ويبدو من هذا التعريف إنّنا يمكن أن نعرِّف البيعة بمفهومها الاصطلاحي: أنَّها عقد بين الحاكم والمحكوم على أن يدير الحاكم أمور المحكوم من حفظ النّظام والأمن وتنفيذ الإحكام وإقامة الحدود، وعلى كل من طرفي العقد الوفاء أي (أن يتمم العهد ولا ينقص حفظه)(٤١).

وقد وردت آيات عديدة تركز على مفهوم البيعة منها: قوله -تعالى-: (فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(٤٢)..

وقال -سبحانه-: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (٤٣)..

وقال -عزّوجلّ-: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (٤٤).

وقال-تبارك وتعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)(٤٥). .

وهذا التركيز لم يأتِ إلا بسبب أنَّ البيعة بها النّظام الكلّي الجامع لهم معه(٤٦)، وبدونها لا يصلح أمر الرّعية مع الرّاعي.

ومن الممكن أن يُقال: أنَّ ترك البيعة للرّاعي يوجب اختلال المجتمع وانحرافه كما إذا ترك البدن وجوارحه طاعة العقل.

ولكن لابد أن ننتبه إلى قاعدة مهمّة وهي: أنَّ البيعة لا تصح لكل من يصبح راعياً وحاكماً وإنّما تكون لمن توفّرت فيه جملة من الصّفات أهمّها الخوف من الله -سبحانه- والعدل، والورع، والصّدق، والأمانة ... الخ.

ولذلك نجد أنّ سيّد الشّهداء الإمام الحسين-عليه السلام- رفض أن يبايع كل طغاة عصره فقال: -عليه السلام-: "... ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السِّلة والذِّلة وهيهات منّا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوسٌ أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ..."(٤٧).

ثانياً: النصيحة في المشهد والمغيب:

نصح الشيء: خلصَ، والنّاصح: الخالص من العسل وغيره(٤٨).

فالنّصيحة إذن للحاكم هي: الإخلاص له، والصدق في القول والعمل أمامه، وفي غيابه(٤٩).

أو ممارسة الأعمال والأقوال التي توجب صلاح الحاكم سواء كان حاضراً أو غائباً وذلك بـ(الدعاية) الحسنة على ما هو الاصطلاح في هذا اليوم ...)(٥٠) أو الدّفاع عنه والذّب عن حرمته)

بل وقد يظهر أنَّ كل عمل أو قول يمارسه المجتمع بِنيَّة خالصة صادقة هو بمثابة النّصح للحاكم، لأنَّ صلاح المجتمع سبب في صلاح من يحكم ذلك المجتمع، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)(٥١)..

ثالثاً: الإجابة حين الدّعوة:

بأن تحضروا حين أريدكم لأمر، والاستجابة للإمام العادل مما يسبب صلاح الرّعية

وسعادتهم .

رابعاً: الطّاعة حين آمركم:

(الطوع: الانقياد، ويضاده الكره ... والطاعة مثله لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أُمرأ والارتسام فيما رُسم)(٥٢)..

فالطاعة للحاكم: الانقياد لما أمر(٥٣)، والاستمرار فيها والثّبات عليها(٥٤).

وقد ركّز القرآن الكريم على هذا المفهوم لما له من أهميّة في تنظيم أمور الفرد والمجتمع وخاصة طاعة المعصوم -عليه السلام-؛ لأنّها تمثّل طاعة الله -سبحانه-التي تورث السعادة.

قال -سبحانه وتعالى-: (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)(٥٥).

هذه مجموعة من الحقوق بين الراعي والرعية سطرها ربيب الرسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله-أمير المؤمنين، ويعسوب الدين علي بن أبي طالب-عليه السلام- كفيلة بازدهار الحياة الدنيا، والنجاة في الآخرة، ولكن بشرط تحويلها من علم إلى عمل.

الهوامش:

١. صبحي الصالح/ نهج البلاغة/ ط٢/ (قم/ مطبعة الوفاء/ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م)/ ص٧٧.

٢. كمال الدين ميثم بن علي ميثم البحراني (٦٧٩هـ)/ شرح نهج البلاغة/ ج٤/ ط١/ (بيروت: الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع/ (١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م)/ ج٢/ ص٢٦١.

٣. ابن أبي الحديد المعتزلي(ت٦٥٦هـ)/ شرح نهج البلاغة/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ ط١ / (بيروت: الدار اللبنانية للنشر، ١٤٢٩هـ)/ ص٣٥٦،٣٥٥.

٤. ابن منظور(ت ٧١١هـ / ١٣١١م)/ لسان العرب/ تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون/ مج ٢/ ط١/ (القاهرة: دار المعارف/ د.ت)/ مج٦/ ص٤٤٣٨/ مادة(نصح).

٥. الراغب الأصفهاني(ت ٤٢٥هـ)/ مفردات ألفاظ القران/ تحقيق صفوان عدنان داوودي/ ط٢/ (قم: مطبعة طليعة النور/ ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)/ ص٨٠٨/ مادة (نصح).

٦. فخر الدين الطريحي(ت: ١٠٨٥هـ)/ معجم مجمع البحرين/ تحقيق نضال علي/ ط١/ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)/ ص١٢٧٢/ مادة نصح.

٧. عبد العظيم المهتدي البحراني/ أربعون حديثا/ ط١/ بيروت: دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر/ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م/ ص٣٥.

٨. أبو علي الزيرجاوي/ لسان الخير ولسان الشر/ ط١/ قم، مطبعة

بخشايش/ ١٤٢٢هـ/ ص٨١.

٩. ينظر ابن ميثم البحراني/ المصدر السابق/ ج٢/ ص٣٨١.

١٠. ينظر محمد الشيرازي/ توضيح نهج البلاغة/ ج٢/ ط١/ (بيروت: دار العلوم/ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م)/ ج١/ ص١٩٨.

١١. المصدر نفسه/ ص١٩٨.

١٢. الكليني/ المصدر السابق/ ج٢/ ص٥٦٧.

١٣. المصدر نفسه/ ج٢/ ص٥٦٧.

١٤. عبد الواحد الآمدي(ت ٥٥٠ هـ)/ غرر الحكم ودرر الكلم/ تحقيق حسين الأعلمي/ ط١/ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)/ ص١٨٣.

١٥. المصدر نفسه/ ص٣٥٧.

١٦. المصدر نفسه/ ص٣٥٧.

١٧. الراغب الأصفهاني/ المصدر السابق/ ص٨٧٧/ مادة وفر.

١٨. ابن منظور/ المصدر السابق/ مج٥/ ص٣٤٩٦/ مادة فيأ.

١٩. محمد الشيرازي/ المصدر السابق/ ج١/ ص١٩٨.

٢٠. ينظر ابن ميثم البحراني/ المصدر السابق/ ج٢/ ص٢٨١.

٢١. ابن أبي الحديد المعتزلي(ت٦٥٦هـ)/ شرح نهج البلاغة/ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم/ ج٢، ط٢/ بيروت - دار اللبنانية للنشر/ ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨ م/ ص٣٥٥.

٢٢. سورة البقرة/ الآية: ٢٤٩.

٢٣. ابن أبي الحديد المعتزلي/ المصدر السابق/ ج٢٢/ ص٣٥٥.

٢٤. محمد الشيرازي/ المصدر السابق/ ج١/ ص٣١٨.

٢٥. عبد الواحد الآمدي/ المصدر السابق/ ص١٢٢.

٢٦. المصدر نفسه/ ص١٢٢.

٢٧. المصدر نفسه/ ص١٢٢.

٢٨. الراغب الأصفهاني/ المصدر السابق/ ص٥٨٠/ مادة(علم).

٢٩. عبد الواحد الآمدي/ المصدر السابق/ ص١٠٨.

٣٠. ابن ميثم البحراني/ المصدر السابق/ ج٢، ص٢٨١.

٣١. الراغب الأصفهاني/ المصدر السابق/ ص٢٧.

٣٢. القرآن الكريم/ سورة الشمس/ الآية: ٧-١٠.

٣٣. ينظر ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ ج٢/ ط١/ (بيروت: الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع/ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)/ ج٢٠/ ص١٥٤.

٣٤. عبد الواحد الآمدي/ المصدر السابق/ ص٣٦٠.

٣٥. محمد بن يعقوب الكليني/ (ت: ٣٢٩هـ)/ الكاف/ ج٢، ط١/ (بيروت: دار المرتضى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)/ ج٢/ ص٤٩٢.

٣٦. المصدر نفسه/ ص٤٩٢.

٣٧. ينظر ابن ميثم البحراني/ المصدر السابق/ ج٢/ ص٢٨١.

٣٨. المصدر نفسه/ ص٤١٩.

٣٩. ابن منظور/ المصدر السابق/ ج٢١/ ص٤٠٢/ مادة (بيع).

٤٠. الراغب الأصفهاني/ المصدر السابق/ ص٣٥/ مادة بيع.

٤١. المصدر نفسه/ ص٨٧٨/ مادة

٤٢. القرآن الكريم/ سورة التوبة/ الآية:١١١.

٤٣. القرآن الكريم/ سورة الفتح/ الآية :١٨.

٤٤. القرآن الكريم/ سورة الممتحنة / الآية :١٢.
٤٥. القرآن الكريم سورة الفتح/ الآية: ١٠.
٤٦. ابن ميثم البحراني/ المصدر السابق / ج٢/ ص٢٨٠.
٤٧. مصطفى الموسوي الاعتمادي/ لمحة من بلاغة الحسين -عليه السلام- / ط٧/ (قم دار الأسوة للطباعة والنشر،١٤٢٧هـ/ ص٩٩.
٤٨. ابن منظور/ المصدر السابق/ مج٦/ ص٤٤٣٨/ مادة نصح.
٤٩. محمد جواد مغنيه/ في ظلال نهج البلاغة/ج١/ ط١/ بيروت - دار العلم للملايين/ ١٩٧٢م/ ص٢٢٨.
٥٠. ينظر محمد الشيرازي/ المصدر السابق/ ج١/ ص١٩٨.
٥١. القرآن الكريم/ سورة الرعد/ الآية: ١١.
٥٢. الراغب الأصفهاني/ المصدر السابق/ ص٥٢٩/ مادة (طوع).
٥٣. محمد الشيرازي/ توضيح نهج البلاغة/ ج١/ ص١٩٨.
٥٤. محمد جواد مغنية/ في طلال نهج البلاغة/ ج١/ ص٢٣٠.
٥٥. القرآن الكريم/ سورة النساء/ الآية: ٨٠.

أمير المؤمنين
علي

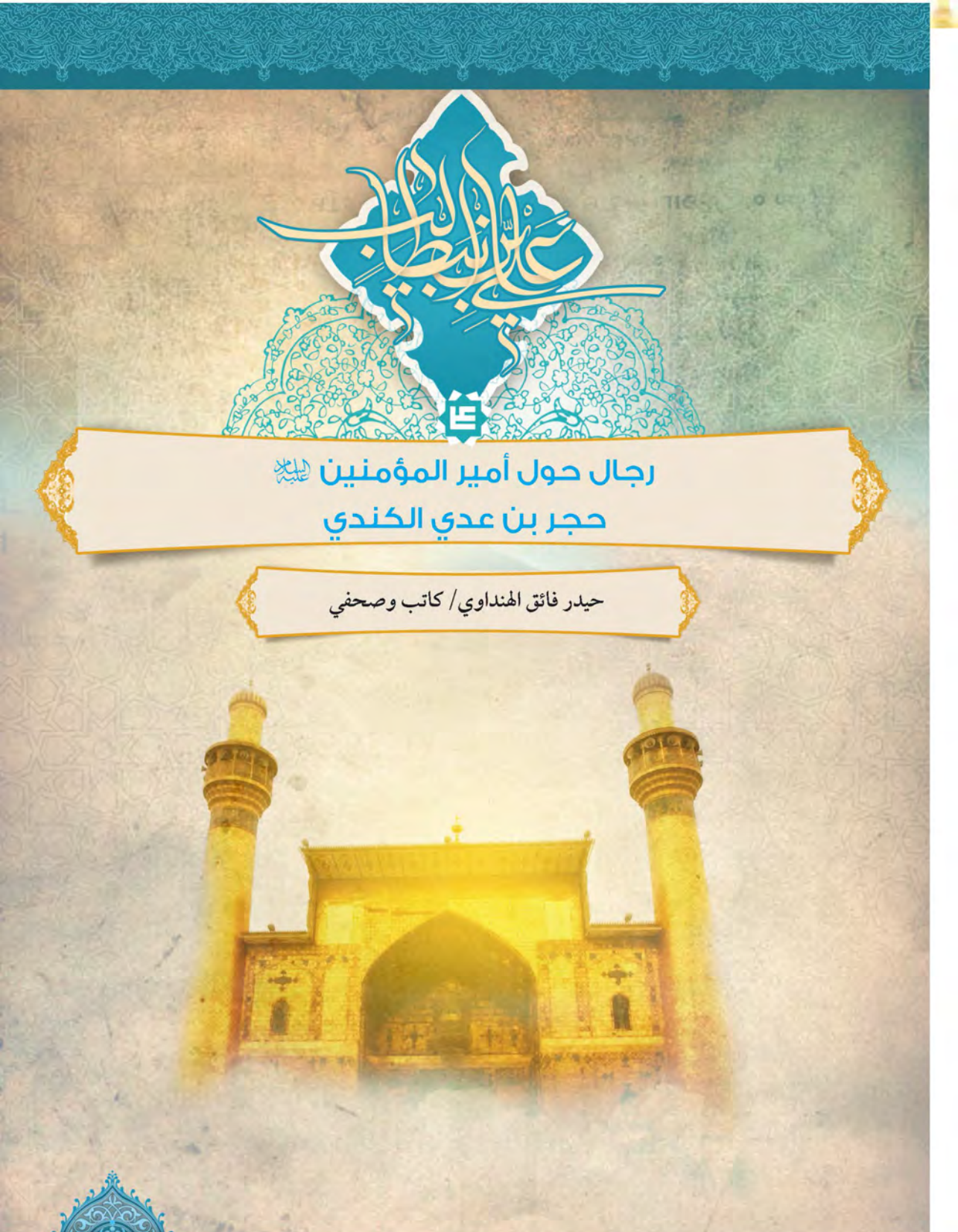

رجال حول أمير المؤمنين عليه السلام
حجر بن عدي الكندي

حيدر فائق الهنداوي/ كاتب وصحفي

اسمه ونسبه

حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة الكندي وهو المعروف بحجر الخير، وكان ذا صلاح وتعبد.

كان حِجْر منذ البداية مع الحقّ، لأنّه من الأفراد الذين تخرّجوا من مدرسة الإمام علي -عليه السلام-، لذا كان الحقّ هو هدفه الأوّل والأخير، ولذا أيضاً سخّر حياته يسقي شجرةً غرسها الرسول الأعظم، من أجل أن (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) (١).

وحِجْرٌ ذلك الإنسان الذي قال عنه الإمام أمير المؤمنين عليٌّ -عليه السلام-:

" يَا أَهْلَ الْكُوْفَةِ: سَيُقْتَلُ مِنْكُمْ سَبْعَة نَفَر، هُمْ مِنْ خِيَارِكُمْ بِعَذْرَاء، مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ أَصْحَابِ الأُخْدُوْدِ، وَمَا نَقَمُوْا مِنْهُمْ إلاّ أَنْ يُؤْمِنُوْا بِاللهِ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِ".

وقال عنه الإمام الحسن -عليه السلام- مخاطِباً معاوية:

" أَلَسْتَ قَاتِلَ حِجْر وَأَصْحَابِهِ الْعَابِدِيْنَ الْمُجْتَبِيْنَ؟ الَّذِيْ كَانُوْا يَسْتَفْظِعُوْنَ الْبِدَعَ، وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقَتَلْتَهُمْ ظُلْماً وَعُدْوَانَا مِنْ بَعْدِ مَا أَعْطَيْتَهُمْ الْمَوَاثِيْقَ الْغَلِيْظَةَ وَالْعُهُوْدَ الْمُؤَكَّدَةَ جُرْأَةً عَلَى اللهِ، وَاسْتِخْفَافاً بِعَهْدِهِ".

وَلَعَلَّنَا لو تَتَبَّعْنَا ما قيل عَنْ مَكَانَةِ حِجْر وصلاحه وحسن إسلامه لضاق بنَا المجال.

وهو إلى جانب هذا مِنْ كبار كِنْدَة، تلك القبيلة العظيمة الضّاربة أطنابها في أرض العراق، وفي الكوفة خاصةً، وكانتْ الكوفةُ تتحدّث عَنْ حِجْرٍ، لأنَّهُ أحدُ رِجَالِهَا، ومِنَ المَرْمُوْقِيْنَ .

الثورة تتكوّن في خضم الأحداث

من أجل معرفة بداية المعارضة، وبالتالي فهم الطريق الذي سلكته، يجب علينا أن نتعرف على البيئة التي عاشت فيها حركة حِجْر... لنعرفَ بالتالي العوامل الرئيسة التي

دفعت حِجْرَاً لكي يصبحَ ثائراً، وليس مجرد رجل معارضة...

أ ـ الإرهاب الفكري والسّياسي:

لم تكن الأحداث التي تجري داخل الكوفة، فقط هي التي تؤثّر على الحياة الطبيعية لمجتمع الكوفة إنّما كانت الأحداث الخارجية ـ أيضاً ـ تؤثّر أكبر تأثير على المجتمع.

إذ المجتمع الإسلامي في العهد الأموي -خاصة في زمن معاوية- كان يعيش (أزمة انتهاكات)، من قبل الولاة والحكّام الأمويين، وكانت الانتهاكات الأمويّة للمقدسات الإسلامية على أشدّها.

فبعد أن أغار بسر بن أرطاة على مكّة المكرّمة، واستباحها، عرج على مدينة الرّسول، وقتل مَن بِها من الشّيوخ والنّساء وحملة القرآن وحفّاظ الحديث.

وقبل أن يفيق الناس من ذهول (كارثة الانتهاك الأموي للحرمين)، جاء القرار الذي أصدره معاوية: شتم الإمام -عليه السلام- على كل منبر..

وهذه هي المرة الثّانية التي يعتدي فيها على الرّسول الأعظم، عندما يعتدي على الإمام عليٍّ -عليه السلام-؛ لأنّ الإمام علياً هو نفس رسول الله-صلى الله عليه وآله-، كما في الحديث السابق، وكما ينصّ القرآن في آية المباهلة حيث يقول: **(فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ)**(٢).

لم يكن الهدف من شتم الإمام على المنابر إلّا لإيجاد الحاجز القلبي بين الإمام المسلمين، وبالتالي -كنتيجة طبيعية- خلق الفاصل بين الإمام والجماهير.

ب ـ تصفية العناصر الثّورية:

أي تصفية العناصر الشّيعية المؤمنة، التي تُمَثّل القوى المعارضة، فكان الذبح، وكان الصلب وتعليق الرؤوس، وكان هدم البيوت على أصحابها، فتفرق كثير من الشيعة، وهاجروا إلى مناطق أخرى، خوفاً على أنفسهم، وحفاظاً على عقيدتهم، وهروباً من العبودية إلى الحرّيّة، ومن الذلّ إلى الحياة الكريمة.

وتبع هذه الحملات التصفويّة المحمومة، سلسلة من القرارات، وكانت بداية تلك القرارات:

(انظروا إلى من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه). وهذه القرارات لم تكن لشيء آخر، إلاّ لتبرير التّصفية فقط. ولذلك عاشت الكوفة قمعاً سياسياً.. وأيّ قمع! وإرهاباً بالسّيف.. وأيّ إرهاب!.

هكذا كانت الحالة السّياسيّة:

وهكذا عاش النّاس في ظلّ الحكم الأموي:

دينياً: الإرهاب الفكري وأزمة الانتهاكات.

سياسيّاً: تصفية العناصر الثورية.

اجتماعياً: التلاعب بالأموال، وحرمان الشعب.

ولذا كان على ثورة حِجْر، ليس فقط أن تعارض، وإنّما تعارض -وعلى الأصعدة الثلاثة- وبعد ذلك تضع خطّة إصلاحية إسلامية، وهذا ما فعلت!.

فماذا فعلت الثورة على هذه الجبهات الثلاث؟.

الإمام يُبعث:

وهكذا انطلقت الثورة في إحيائها لقضية الإمام علي -عليه السلام-، لكي يعود علي للجماهير، وإحياء قضية الإمام في وقت كان الناس فيه بأمسّ الحاجة إلى قيادة الإمام وتعاليمه. بهذا الشكل عملت الثورة على الجبهة الدّينية.

المعارضة تتكتل:

أمّا في الجبهة السّياسيّة.. وحيث كان الضّغط والإرهاب والقمع الأموي للشّيعة عامة، لذلك كان على الثّورة أن تعمل في سبيل مواجهة هذا الإرهاب لكي تقاومه، ولذلك لجأت إلى أسلوب (التّكتّل). فجمعت النّاس تحت لواء الثّورة على الباطل..

وعن طريق التكتّل، ومحاولة التجمع، وإزالة حواجز العزلة الفكريّة بين كل فرد

وآخر، استطاعت الثّورة بزعامة حِجْر أن تجعل من حلقتها ما يقرب من ثلثي المسجد من النّاس المجتمعين.. وعن طريق (التّكتّل والتّجمع) الذي سلكته الثّورة، استطاعت أن تقاوم النّشاط السياسي الأموي المضاد، وأن تصمد في مواجهة الأجهزة الأمويّة.

الجماهير تستجيب:

أمّا كيف استطاعت الثورة أن تعمل في المجال الاجتماعي فقد انطلقت ثورة حِجْر لكي تعارض وجود الحرمان، أو المحرومين؛ لأنّ مبدأه الذي هو منطلق ثورته يفرض على الثورة أن تطالب بحقوق الفقراء والمحرومين؛ لأنّه: (ما جاع فقير إلاّ بما متع به غني).

ولأنّ الدين الإسلامي (منطلق ثورة حِجْر) كان يفرض مناصرة الفقراء، والمطالبة بحقوقهم، لهذا بدأ حِجْر في المطالبة للفقراء.. ولكن كيف؟

في سبيل أن يضمن ثقة الجماهير به وبحركته بدأ حِجْر معارضته العلنية، وبالطبع لم يكن هدفه أن يكسب ثقة الجماهير فقط إنّما يكسب ثقة الجماهير؛ لكي يستعين بهم في ثورته من أجلهم.

ولذا بدأ يطرح نفسه على السّاحة الشيعية كمعارض علني للسلطة الأمويّة، وبدأ بمعارضة شتم الإمام، على المنبر.. وتطوّر الأمر شيئاً فشيئاً، إلى أن بدأ يحرّك الجماهير عن طريق التّوعية، إلى أن أصبحت الجماهير قادرة على رفع صوت الرّفض، وهذا ما أدركه، وتيقن منه حِجْر بعد (حادثة الرفض الجماعي)..

وتتطوّر المطالبة بحقوق الفقراء إلى مرحلة أخرى وتقفز لتأخذ شكلها العملي، وبعد أن شَعَرَ الحكم الأموي بأنّ الثورة تحرّكت إلى مواقعها الأمامية للمواجهة الفعلية؛ بدأ في ملاحقة واعتقال أفراد من الثوار.

ولكن هل تنتهي فصول الثورة؟

بالطبع كلاّ.. لأنّ أي ثورة رسالية ـ لا تنتهي بانتهاء الثّائر، وإنّما تبقى حيّة في ضمير

الأمّة.

في الطريق إلى الشهادة

عجيبة قضية المبادئ.. وأعجب منها روح من يُضَحي في سبيلها.. ذلك أنّه عندما تكون القضية، أن يكون الدّين ومبادئ الحقّ والعدل، أو لا يكون، فإنّ كلّ شيء يصبح رخيصاً، المال والبنون والنفوس.

وكانت عظمة حِجْر أنّه واصل مسيرته للأخير، ولم يتراجع.

لقد جاهد وناضل وسُجن أيضاً، وإلى الرّمق الأخير كان لا يزال صامداً على مبدئه.

ولقد طورد، وقتل أمامه ابنه، ووضعت حياته ثمناً لشراء ضميره، فلم يقبل أن يبيع، ولقد حاول أعداؤه - جهد ما استطاعوا- أن ينزعوا منه صموده، فلم يقدروا.

ولذلك نرى حِجْر بن عدي..

وقد صعد زياد المنبر، وأخذ يخطب في الناس، وقبل نهاية الخطبة، ذكر أصحاب عثمان، وترحّم له ولهم، وأخذ يمدحهم بما ليس فيهم، وبعد ذلك ذكر الإمام وأصحابه، فشتمهم واسترسل إلى أن أوشك وقت صلاة العصر أن ينتهي.. نرى حِجْرَاً يقوم من مكانه منادياً: الصلاة!! الصلاة!.

ولم يتحرك أحد.. بينما استمر زياد في شتمه للإمام، وقام حِجْر للمرة الثّانية ونادى بصوت أعلى: الصلاة!! الصلاة!.

ولمّا لم يتحرّك أحد.. قام للمرة الثالثة قائلاً ومقاطعاً لزياد:

(شاهت الوجوه ذلّاً.. يمنعكم زياد صلاتكم)!.

ثم قام وكبّر للصلاة، وابتدأ يُصلّي، مما أجبر زياد على أن يقطع الخطبة، وينزل من المنبر.

هكذا تمرّد حِجْر مؤكداً: أنّ مبادئ الله يجب أن تنفّذ، وأن تطبّق، حتى ولو كان الوالي أو الحاكم يريد أن يؤخّر ذلك.. أحكام الدين يجب أن تمارس من دون إذن الحاكم..

الصلاة يجب أن تكون في خطّ الصلاة أي ضدّ الخنوع، والخضوع، والاستسلام للحاكم المستبد.

وبعد ذلك قُبِض عليه واعتُقل وأُودع السجن، بعد أن كُبّل بالحديد، وعُزل عن الناس، إلّا قلّة من أصحابه من (رفقاء الدرب).

لقد وضعوا حياته ثمناً لبراءته من الإمام، ولتخلّيه عن مبادئه، إلاّ أنّه كان يقول، ضمن موقفه، وفي كل وقت: (أتأمرونني أن أترك دين الله وأخسر دنياي وآخرتي؟ أتخيرونني بين الحقّ والباطل وتريدون أن أختار الباطل على الحقّ)؟.

هكذا كانت قضية حِجْر مع المبادئ، لقد رفض أن يتنازل عن مبادئه ذرة واحدة.. فرفضوا أن يتنازلوا عن دمه قطرة واحدة..

عندما يحضر الجلاّد لقتلك فأَعْلِن كلمتك بصراحة:

كان حِجْر وأصحابه ينتمون إلى جيل الأنبياء العظام والذين جاهدوا في سبيل قضية الله في الأرض بكل صبر وصلابة.

فعندما كان المغيرة يخطب في أحد الأيام ويكثر من شتم الإمام، كان حِجْر دائماً يقوم ويعترض كلامه، فما كان من المغيرة ذات مرة، إلاّ أن هدده قائلاً: (يا حِجْر اتق غضب السلطان، فإنّه كثير ما يهلك أمثالك)!.

وبالرغم من هذا التّهديد الشّديد لحجر، إلاّ أنّه استمر في معارضته ورفضه، ذلك لأنّه يعرف أن صموده على هذا الموقف يعني انتصار الرّسالة وانتصار الحقّ، وفي هذه المرة، وحيث لم يكن التهديد من قبل السّلطة كافياً، فكّر الوالي الجديد في وسيلة أخرى لتجميد نشاط حِجْر، فاستعمل وسيلة التّرغيب، ووعده بالأموال، فبمجرد أن جاء زياد بن أبيه إلى الكوفة والياً عليها، طلب حِجْر إليه، وقال له ضمن كلامٍ طويل: (وهذا سريري فهو مجلسك).

ويسكت حِجْر ولا يعطيه جواباً مقنعاً، ولكنّه يعطيه الجواب الصارم، عندما يخرج

ويعاود نشاطه الثّوري، لكي يثبت للناس أنّ الثّائر الرّسالي، موقفه واحد سواء كان الوالي هو المغيرة أو زياداً معاوية أو غيره.. وكان هذا الموقف صامداً حتى في ليلة الشّهادة.

وبعد أن عرف الثّوار إلى أين هم صائرون، بعد أن عرفوا أنّ تلك السّيوف التي تبرق الآن لمّاعة بيضاء، سيختفي بريقها ولمعانها حينما تأخذ طريقها إلى رقابهم.

في تلك الليلة كان اختبار الموقف الأخير، قال لهم الجلادون: (يا هؤلاء.. لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة، وأحسنتم الدعاء.. فأخبرونا قولكم في عثمان؟.

وكان الموقف واحداً.. كان منذ البداية واحداً، واستمرّ إلى النّهاية.. إنّه واحدٌ، رُغم أنّ السيف الذي يواجههم الآن، هو غير السيف الذي طاردهم في الكوفة، لكن ما دام السيفان يلتقيان على درب الباطل.. ويسيران في نفس الاتجاه، فإنّ الموقف هو واحد، وإن اختلف السيفان. ولذلك قالوا وبصوت واحد: (إنّه أوّل من جار في الحكم، وعمل بغير الحقّ).

ويسألونهم ثانية: (أوَ تتبرؤون من هذا الرجل؟) أي الإمام، فقالوا وقضيّتهم لا تزال ترتسم أمامهم:

(بل نتولّاه، ونتبرّأ ممن تبرّأ منه).

وهكذا علّم حِجْر كل الثائرين: إذا جاء الجلاد لقتلك، فأعلن كلمتك بصراحة.

هذه بعض المواقف التي كان عليها حِجْر لأنّه كان يريد إقامة الحقّ، وتحطيم الباطل، ولذلك ضحّى، ومن أجل ذلك ثار.

يوميات الثائر

إلى هنا كنّا قد عرفنا حِجْرَاً (الثائر)، ولكي نعرف حِجْرَاً، بصورة أكثر، تعال نتعرف على مسيرة ثورته، وكيف كانت الأحداث تتابع..

بدأت المعارضة تتحول إلى عمل ثوري، لأنّها قد كثّفت من (اجتماعاتها السّرّيّة) مع عناصرها، لهذا كان على السلطة أن تتدارك الوضع الخطير، فأرسل عمرو بن حريث

ـ والي الكوفة بالنيابة ـ كتاباً إلى زياد يخبره فيه بالوضع، وبسرعة قدم زياد إلى الكوفة من البصرة، وصعد المنبر، وخطب في الناس: (أمّا بعد: فإنّ غب (عاقبة) البغي والغي وخيم، وإنّ هؤلاء جمّوا (كثروا) فأشِروا وأمِنوني فاجترؤوا على الله (...؟)، ولئن لم تستقيموا لأُداوينّكم بدوائكم، ولست بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حِجْر، وأدعه نكالاً لما بعده).

المطاردة:

وبعد خطبته أمر برئيس شرطته (محمّد بن الأشعث) فأتاه، فقال له زياد: (أذهب وائتني بحجر في الحال)، فذهب الأخير إلى دار حِجْر، ولكنّ أصحاب حِجْر شتموه وقالوا: (لن نأتيه، ولا كرامة لكما)، فرجع ابن الأشعث وأخبر زياداً، فصعد زياد المنبر، وخطب في النّاس قائلاً: (يا أهل الكوفة أتشجون بيدٍ، وتأسون بأخرى؟ أبدانكم معي، وقلوبكم مع حِجْر الأحمق (...؟)، والله لتظهرنَّ لي براءتكم، أو لآتينَّكم بقوم أقيم بهم أودكم).

فقالوا: معاذ الله أن يكون لنا رأي إلاّ طاعتك، وما فيه رضاك.

فانتهز زياد الفرصة فقال: (فليقم كل رجل منكم فليدع ـ من عند حِجْر ـ من عشيرته وأهله). ففعل هؤلاء وانسحب أكثر أصحاب حِجْر عنه.

وهنا قد يثار السؤال الذي هو: لماذا تفرّق النّاس عن حِجْر بعد أن كانوا ملتفّين ـ أكثرهم ـ حوله؟

والجواب يتلخّص في نقطتين:

١ ـ القمع العنيف والإرهاب الذي كان يمثله زياد.

٢ ـ عدم النّضج الثّوري عند الجماهير التي اتبعت حِجْرَاً نضجاً كافياً.

وعندما رأى حِجْر أنّ أصحابه أصبحوا قلّة ضئيلة، أمرهم بالانصراف قائلاً: (لا طاقة لكم اليوم بمن قد اجتمع عليكم، وما أحب أن تهلكوا). فانصرفوا، وتبعهم

أصحاب زياد فاعتقلوا بعضهم، وقتل الآخرون.

وبعدها هرب حِجْر خفية، وذهب إلى بيت رجلٍ من بني حوت، وعندما عرف الرجل أنّ الأعداء قادمون، أخذ سيفه ليدافع به عن حِجْر، ولكنّ حِجْرَاً استوقفه، وسأله عمّا إذا كان في البيت نافذة؛ ليخرج منها، فلمّا أجابه بالإيجاب خرج منها، وذهب إلى النخع (مكان لإحدى القبائل) فدخل دار (عبد الله بن الحرث النخعي)...، وبينما هما كذلك، إذ سمعوا حوافر خيل تقترب، فسألوا: ما الخبر؟ فقيل: إنّها شرطة زياد، ولكن كيف علمت الشرطة بمكان حِجْر مع العلم أنّه بالغ في التّكتّم والتخفّي؟.

والجواب هذا: أنّ امرأة... رأته، وهو يدخل النخع، وعندما رأت شرطة ابن زياد سألتهم عن سبب مجيئهم فقيل لها: للبحث عن حِجْر بن عَدِي، فقالت لهم: إنّه في النخع... وعندما أحسّ حِجْر بهذا خرج إلى الأزد (وهو مكان لإحدى القبائل)، ونزل عند (ربيعة بن ماجد)، واختفى هناك، ولم تستطع الشرطة العثور عليه.

وعندما علم زياد أنّ أصحابه فشلوا في القبض على حِجْر، استدعى محمّد بن الأشعث ـ رئيسهم ـ وقال له: (والله لتأتيني به أو لأقطعنَّ كل نخلة لك.. وأهدم دورك، ثمّ لا تسلم منّي أبداً).

الاعتقال:

وعندما رأى حِجْر أنّ ثورته قد تستخدم ضدها الدعاية الأمويّة المضللة، فتفقد قاعدتها الجماهيرية، وذلك عن طريق القتل، والسلب، مما يحدث سخطاً على حِجْر ـ ـ فمن أجل الحفاظ على القاعدة الشّعبية للثورة، وبعد أن علم أنّ اختفاءه ليس في صالح قضيته أرسل إلى محمّد بن الأشعث يسأله أن يأخذ له أماناً من زياد؛ لكي يذهب إلى معاوية، فجمع ابن الأشعث جماعة، ودخلوا على زياد، واستأمنوه على حِجْر حتى يذهب إلى معاوية، فأعطاهم الأمان، وأرسلوا إلى حِجْر فحضر إلى زياد... وعندما حضر، قال له زياد بشماتة من سيطر بعد التعب:

(مرحباً.. مرحباً بك يا أبا عبد الرحمان، حرب في أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس!! على أهلها تجني براقش).

وبعدها أُدخل حِجْر السجن، وسجن لمدة عشر ليال، وقبل انقضاء مدّة سجنه جمع زياد بعض رؤساء القبائل وهم: عمرو بن حريث، وخالد بن عرفطة، وقيس بن الوليد، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري، لكي يشهدوا على حِجْر أنّه (جمع الجموع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين (؟؟..)، وزعم أنّ هذا الأمر (الخلافة) لا يصلح إلاّ في آل أبي طالب، وأظهر عذر أبي تراب، والتّرحم عليه، والبراءة من عدوّه، وأهل حربه).

وكان صحيحاً أنّ حِجْرَاً جمع النّاس حوله لكي يثور على الحكم الظالم، كل هذا صحيح، وهذا ما أدركه زياد، فقال: (ما أظن هذه شهادة قاطعة، وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة). فدعا الناس؛ ليشهدوا على حِجْر، فشهد هؤلاء الأربعة وغيرهم، على ما جاء في كتاب زياد لمعاوية في الشهادة على حِجْر، وكان مما جاء فيه: (أمّا بعد، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فأداله عدوه وكفاه مؤنة من بغى عليه، وإنّ طواغيت الترابيّة السبأيّة، وعلى رأسهم حِجْر بن عَدِي، خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم، وأمكننا فيهم، وقد دعوت خيار أهل المصر، وأشرافهم، وذوي النهى والدين، فشهدوا بما رأوا وعلموا، وقد بعثت بهم - بحجر وأصحابه - إلى أمير المؤمنين وكتبت شهادة صلحاء المصر، وخيارهم في أسفل كتابي هذا).

وكان حِجْر وأصحابه قد وصلوا إلى منطقة مرج عذراء وسجنوا هناك، وكان عددهم اثني عشر رجلاً، وأتّموا أربعة عشر رجلاً عندما أرسل إليهم زياد اثنين من أصحاب حِجْر.

ولما وصل حجر قائلاً: - (الحمد لله.. أما والله إنّي لأول مسلم نبحت عليه كلابها، ثمّ

أنا اليوم أحمل مصفوداً إليها).

ومرّ بخاطره فتحهُ لعذراء، وكيف جاهد في سبيل إدخال نور الإسلام إليها، ثمّ ها هو اليوم في عذراء مرّة ثانية، لكنّ الفرق أنّه كان في الأولى قائد جبهة الحقّ، دخلها منتصراً، وها هو الآن يدخلها كقائد لجبهة الحقّ، ولكن مُصفّد.

في ليلة الشهادة:

اغتنم حِجْر وأصحابه فرصة التفرّغ، وذهبوا إلى الله، وغرقوا في الابتهال إلى الله، لا من أجل النجاة، وإنّما من أجل أن يزيدهم حبّاً في الشهادة وبعد أن تزوّدوا من الله ولله ، وعندما جاءهم جلاّدوهم لتنفيذ الحكم، لم يروا في وجوه الثّوّار ما ينبئ عن تغيّر في الموقف.. فقرؤوا عليهم كتاب معاوية حيث جاء فيه: أنّ البراءة تساوي الحياة، وعدم التبرؤ يساوي الموت.

ولكنّ موقفهم كان واحداً عندما قالوا، بكلّ إيمان المجاهدين، وعقيدة الصّامدين، وقوّة الشّهيد من أجل الله، قالوا: اللهم إنّا لسنا فاعلي ذلك.

وهكذا جعلوا من أنفسهم قرباناً لله -تعالى-.

أسرعوا للموت، كل واحد منهم كان يريد أن يستشهد قبل الآخر، مما دعا الجلّادين إلى الاستغراب من هذا، قائلين: (ما أسرعكم إلى الموت)؟..

فقال الجميع: من عرف مستقرّه سارع إليه.

ويحدّثهم حِجْر قائلاً: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وآله-: "يا حِجْر، تُقتل في محبّة عليٍّ صبراً...".

وقدّم حِجْر للقتل، فقال: دعوني أتوضّأ، فلما توضأ قال: دعوني أصلّي لربي ركعتين، فوالله ما توضأت إلاّ صليت ركعتين؛ لكي يثبت أنّ الثورة لم تنفصل، ويجب أن لا تنفصل عن الصلاة، بل كانت مكمّلة للصلاة..

وتقدم قليلاً، ولكنّه توقّف.. وفكّر قليلاً، ثم دعا بابنه همام، وأمر السّيّاف بقتل ولده

أوّلاً، وأمام التّساؤل الذي أحاط بهم قال حِجْر: (لقد خفت أن يرى هول السّيف على عنقي؛ فيرجع عن ولاية عليّ -عليه السلام- فلا نجتمع في دار المقام التي وعد الله بها الصابرين).

ويتقدّم همام.. وفي لحظة يبرق السّيف، ويختفي، ثمّ يقع الجسد، الذي كان ثائراً، يسقط همام على الأرض، وينبع الدم ليكون بحيرة صغيرة من الدّم السّاخن على جانبي رأسه، فيأتي حِجْر، ويطبع على جبينه قبلة الثائر للثائر، قبلة من ربّى ابنه على الثورة فأنتج، ويقول: (بيّض الله وجهك كما بيّضت وجهي عند رسول الله -صلّى الله عليه وآله- (في حفظ رسالته).

وبعد ذلك يتقدم حِجْر إلى الشّهادة، بعد أن احتفل بشهادة ابنه همام، وقبل أن يقتل يوصي الحاضرين، ولكن كيف كانت وصيته؟ هل كانت أن يحافظوا على عائلته، ولا يأخذوا أمواله؟ كلّا، إنّما كانت الوصيّة: (لا تغسلوا عني دماً..). (ولا تطلقوا عني حديداً..). (وادفنوني في ثيابي..).

وأمام دهشة الجميع، وتساؤلهم عن ذلك، استطرد قائلاً: (فإنّا جميعاً نلتقي غداً في الجادّة)..

... وبعدها يقول له السّيّاف: (مُدّ عنقك).

فيقول حِجْر بكلّ تحدٍّ، وبكلّ ثبات على الموقف: (إنّ ذلك لدم ما كنت لأعين عليه... وما كنت لأعين الظّالمين).

فسلام عليك يا حِجْر يوم فتحت مرج عذراء..

وسلام عليك يوم استشهدت بها..

وسلام عليك يوم تبعث في يوم القيامة، مع الشّهداء والصّدّيقين(٣).

الهوامش:

١- سورة ابراهيم/ الآية: ٢٥.

٢- سورة آل عمران/ الآية: ٦١.

٣- لمزيد من المعلومات مراجعة المصادر التالية:

أ- أتباع أمير المؤمنين-عليه السلام- في الكوفة/ وحدة الدراسات والنشرات/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة العباسية المقدسة/ ط١/ كربلاء المقدسة/ ١٤٣٤هـ- ٢٠١٢م.

ب- حجر بن عدي الثائر الشهيد/ محمد فوزي/ بيروت لبنان مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٧م.

ج- من مدرسة الإمام علي -عليه السلام-/ محمد بحر العلوم/ دار الزهراء -عليها السلام-للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت ـ لبنان/ الطبعة الأولى/ بيروت ـ لبنان/ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

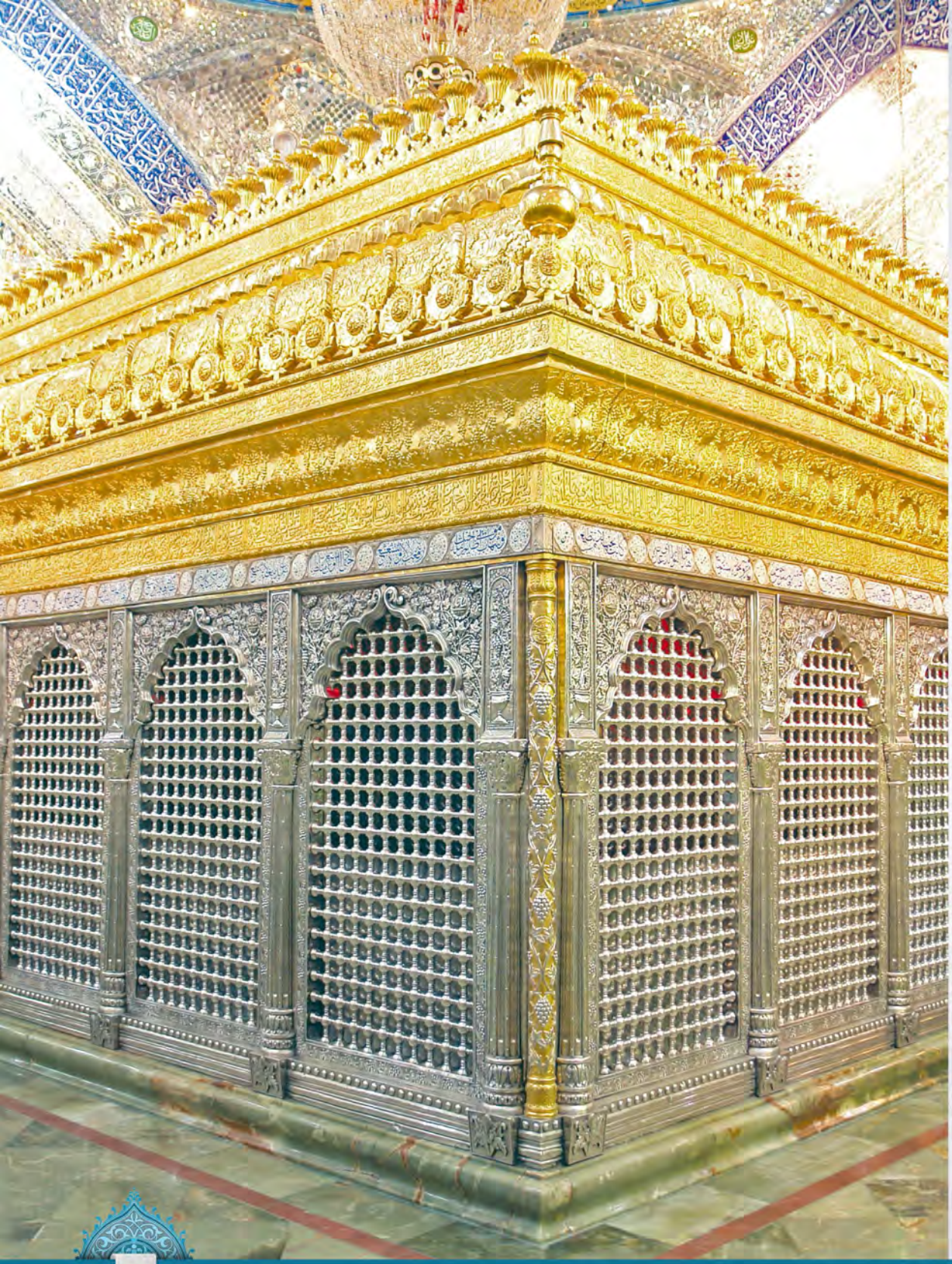

وليد الكعبة

سمعاً أمير المؤمنين

ابن العرندس الحلي

ابن العرندس الحلي

ثُـــمّ السَّلام مِنَ السَّلام على الذي ... نُصِـــبت له في(خُم) رَايَاتُ الولا

تَالِـي كِتَـابَ الله أكـرم مَـنْ تَلا ... وأَجَـل مـن للمصطفى الهَادِي تَلا

زَوْج البَـتول أخُ الـرَّسول مُطَلِّق ... الدُّنْيَا وقـاليها بِنِـيران الـقَـلا

رَجُـلٌ تسـربلَ بالعَـفَافِ وحبَّذا ... رَجَـلٌ بأثـوابِ العَفَافِ تَسربَلا

تَلقـاهُ يـوم السّلمِ غَيْثاً مسبلا ... وتَـراهُ يَـومَ الحرب ليثاً مشبلا

ذُو الـرّاحة اليُمنى التي حَسَنَاتها ... مُـدّت على كيوان باعا أَطـوَلا

والمُعجـزات الباهرات النّيّرات ... المشـرقات المعذرات لمـن غَلا

منها رُجـوعُ الشَّمسِ بعد غُرُوبها ... نـبأ تصيـر له البَصَائِر ذُهّلا

ولِسَيـرِهِ فَـوقَ البِساطِ فضيلة ... أوصافُها تعـيي الفصيح المقولا

وخِـطابُ أهلِ الكهفِ مَنقَبة غَلتْ ... وعَـلَتْ فَجاوزتِ السّماك الأعزلا

وَصُعـود غـارب أحمد فَضلٌ له ... دونَ القـرابة والصحابة أفضلا

هـذا الـذي حَازَ العلومَ بأسرِها ... ما كـان منـها مجملاً ومفصّلا

هـذا الـذي بِصَـلاتِه وصلاته ... للـدّين والـدّنيا أتـمّ وأكـملا

هـذا الـذي بحـسامه وقناته ... في خَيـبر صعـب الفُتوح تَسهلا

وأبَـادَ مَرْحَب في النِّزالِ بِضَربَةٍ ... أَلْقَـت عـلى الكفّارِ عِبئاً مُثْقَلا

وَكَتَـائِب الأحزابِ صيّر عمروها ... بِدِمَائِـه فَـوق الـرِّمال مُرَمّلا

وتَبُـوك نَـازل شَوسها فَأَبَادَهُم ... ضَرْبَاً بِصَـارِمِ عَـزمة لنْ يفللا

وَبِـهِ تَـوسّلَ آدم لمّـا عَصَى ... حتـى اجـتَبَاه ربـّنا وتقبَّلا

وبِـه دَعَـا نوحٌ فَسَارت فُلكه ... والأرض بالطّـوفان مُفعمة ملا

وبِـهِ الخَـليل دَعَا فَأَضْحَت نارهُ ... بَـرداً وقـد أَذْكَت حَرِيقَاً مشعلا

وبِـه دَعَـا مُوسى تَلقفت العصا ... حَـيّات سحـر كـنّ قدماً أحبلا

وبِـه دَعَـا عيسى المسيح فَأَنطَقَ ... الميـت الـدَّفين به وقَـام مِـن البَلا

وبخـم واخـاه النّـبي محـمد ... حـقاً وذلـك فـي الكتاب تَنَزَّلا

عـذل النّواصب في هواه وعنفوا ... فَعَـصَيْتَهم وأَطَعْتَ فيه مَنْ غَلا

وَمَدَحـته رَغـمَاً عـلى آنَافِهم ... مَدْحَـاً بـه ربّي صَدا قلبي جَلا

وَتُـرَابُ نَعـل أبـي تُراب كُلّما ... مَـسَّ القَذَا عَيْنِي يكونُ لَهَا جَلا

فَعَـليه أَضعَافُ التَّحيّة ما سَرَى ... سَـارٍ وَمَـا سحّ السّحاب وأَهمَـلا

سَمعَـاً أمير المؤمنين قَصَائِداً ... تَـزدَادُ مـا مَرَّ الزَّمان تَجملا

يا ابا الفضل العباس